انفعال الندم المصاحب لكلمة ﴿كَرَّة﴾

في القرآن الكريم

دراسة في ضوء علم اللغة النفسي

إعداد الدكتورة

الشيماء السيد علي شولح

المدرس بقسم أصول اللغة بكلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد

جامعة الأزهر

انفعال الندم المصاحب لكلمة ﴿كَرَّةً﴾ في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم اللغة النفسي

الشيماء السيد علي شولح

قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني:elshimaasholh.173@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

هذا بحث علمي لغوي قرآني، يهدف إلى تسليط الضوء على انفعال (الندم) والذي ورد مصاحبًا للفظ ﴿كَرَّةً﴾ في القرآن الكريم في عدة مواضع، اتخذت فيه من التحليل النفسي اللغوي مدخلاً لفهم تأثير البنية الصوتية والصرفية والنحوية على تصوير هذا الشعور، وتسليط الضوء على إعجاز القرآن الكريم في إبراز الأبعاد النفسية من خلال التراكيب اللغوية، وكيفية تسخير القرآن للألفاظ والعبارات لخلق تأثير نفسي في ذهن القارئ والمستمع. وقد استخدمت المنهج الوصفي الذي يصف ويحلل الخطاب القرآني في الآيات محل الدراسة، حيث قمتُ بحصر الآيات التي وردت فيها لفظة ﴿كَرَّةً﴾ في القرآن الكريم وتحديد المواضع التي جاءت فيها مصاحبة لانفعال الندم، ثم تحليل الآيات القرآنية إلى مستويات اللغة، مستخرجة دلالاتها النفسية مستعينة بكتب الأصوات والمعاجم والنحو والصرف والتفسير وغيرها، وقد أسفر البحث عن عدد من النتائج منها: أن كلمة ﴿كَرَّةً﴾ جاءت مرتبطة –غالبا– بأمنية العودة إلى الدنيا بعد فوات الأوان، وهو ما يظهر جليًا في

تكرار الأمنية المستحيلة (لو أن لي كرة)، مما يعكس حالة الندم الشديد، كما كان للأصوات دورٌ واضحٌ في إبراز انفعالِ الندم في الآيات عن طريقِ استخدامِ الأصوات المناسبة للمعاني، مثل كلمة ﴿ وَتَقَطَّعَتْ ﴾ التي تصور بقوةِ أصواتها معنى الصرم والإبانة، كما كان للصياغة الصرفية دورٌ في إبراز انفعال الندم في الآيات؛ مثل صيغة (فَعْلة) في كلمة ﴿زَجْرَةٌ﴾، والتي أضيفت لها دلالة المرَّة لتساهمَ بصيغتها في رسم صورة المفاجأة، وتزيد من وقع الحسرة والندم عليهم.

الكلمات المفتاحية: الانفعالات النفسية، الندم، لفظ كرَّة في القرآن،علم اللغة النفسي

The Emotion of Regret Associated with the Word Karratan in the Holy Quran: A Study in the Light of Psycholinguistics

Al-Shaimaa El-Sayed Ali Sholah

Department of language Fundamentals, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls – Port Said, Al-Azhar University, Egypt

Email: elshimaasholh.173@azhar.edu.eg

Abstract

This study is a linguistic and psychological analysis of selected Quranic verses, aiming to shed light on the emotion of regret as it appears in association with the word karratan (كرة) in various contexts throughout the Holy Quran. Adopting a psycholinguistic approach, the research explores how phonological, morphological, and syntactic structures contribute to expressing this deep emotional state. It further highlights the miraculous nature of the Quran in depicting psychological dimensions through its unique linguistic features, and how it strategically employs specific words and expressions to create strong emotional impacts on readers and listeners alike.The study uses a descriptive analytical method, beginning with identifying the Quranic verses in which the word karratan appears, then narrowing the focus to those where it is connected to feelings of regret. These verses are examined across various linguistic levels to uncover their psychological implications, drawing on resources in phonology, lexicography, grammar, morphology, and exegesis. Key findings reveal that karratan is often linked to the unattainable wish to return to worldly life after it is too

late—most notably expressed in the repeated phrase “If only I had another chance (karra), which reflects intense remorse. Phonetic elements contribute significantly to emphasizing this emotion, as in the word taqattaat (تقطعت), whose harsh, abrupt sounds mirror the sense of severance and loss. Likewise, morphological structures such as the pattern faalah (فعلة) in the word zajrah (زجرة) convey a sense of suddenness, intensifying the emotional weight of regret and sorrow.

Keywords: Psychological Emotions, Regret, the Word karra in the Quran, Psycholinguistics

مقدمة:

الحمد لله الذي وسعت رحمتُه كلَّ شيء، فمهَّل عبادَه ليتوبوا، وجعل الندمَ يقظةً للقلوب، ومفتاحًا للعودةِ إليه، وبيَّن في كتابِه الكريم أحوالَ الإنسان وتقلبات نفسه بين الرجاءِ والخوفِ، وكشف لنا في آياته آثارَ الندم ودلالاته، فجعل منه عبرةً للمعتبرين، وتنبيهًا للغافلين، وسببًا لإصلاحِ القلوب وتزكيتها، القائل في محكمِ كتابِه: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الفرقان: ٧٠).

وبعد

فتعدُّ دراسة الانفعالات النفسية في القرآن الكريم مجالاً خصبًا يجمعُ بين الجوانبِ اللغوية والنفسيَّةِ، ويبرز الإعجاز القرآني في تصويرِ المشاعر الإنسانية بمستوياتها المختلفة، ومن بين هذه الانفعالات يظهر انفعال الندمِ كواحدٍ من أبرزِ المشاعرِ التي عالجها النص القرآني في سياقات متعددة.

وقد وقع اختياري على هذا الفرع من فروعِ علمِ اللغةِ التطبيقيّ، وهو علم اللغة النفسيّ، وذلك لتناسبِه الكبير مع مضمونِ الآيات القرآنية محل الدراسة، حيث يُعدُّ انفعالُ الندم شعورًا داخليًا مركبًا، يتولد نتيجة إدراك الإنسان لخطأ ارتكبه أو فرصة فوَّتَها، وهو ما يجعله محطَّ اهتمام علماء النفس واللغة على حد سواء.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة والتي تهدفُ أولا إلى دراسةِ كلامِ الله ﷻ، ثم إلى تسليطِ الضوءِ على هذا الانفعال، والذي ورد مصاحبًا للفظِ ﴿كَرَّةً﴾ في القرآنِ الكريمِ في ستَّةِ مواضع[1]، فكان البحثُ بعنوان: (انفعال الندم المصاحب لكلمة ﴿كَرَّةً﴾ في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم اللغة النفسي).

---

(١) وهذه المواضع هي: سورة البقرة الآية (١٦٧) – سورة الإسراء الآية (٦) – سورة الشعراء الآية (١٠٢)– سورة الزمر الآية (٥٨) – سورة الملك الآية (٤) – سورة النازعات الآية (١٢).

واتخذتُ فيها من التحليلِ النفسيّ اللغوي مدخلاً لفهم تأثيرِ البنيةِ الصوتيَّةِ والصرفيةِ والنَّحويةِ على تصويرِ هذا الشعور العميق، لمحاولةِ الوصولِ إلى فهمٍ أعمق لكيفية تصوير القرآن الكريم لواحدٍ من الانفعالاتِ النفسيةِ المعقدةِ، مثل الندم وتسليط الضوءِ على إعجازِ القرآنِ الكريم في إبرازِ الأبعاد النفسيَّةِ من خلالِ التراكيبِ اللغوية التي تساهمُ في فهمِ المعنى، وتُركز الدراسةُ على ارتباطِ المعاني النفسيَّة بالبناءِ اللغوي، وكيفيةِ تسخير القرآن للألفاظِ والعباراتِ لخلقِ تأثير نفسيّ متكامل في ذهنِ القارئ والمستمع.

وبدأتُ هذه الدراسة بحصرِ الآيات التي وردت فيها لفظةُ ﴿كَرَّة﴾ في القرآنِ الكريمِ، وتحديدِ المواضع التي جاءت فيها مصاحبة لانفعالِ الندم، معتمدةً على المنهجِ الوصفيّ الذي يصفُ ويحلّلُ الخطابَ القرآنيّ في الآياتِ محل الدراسة، ويكشفُ عن الانفعالِ النفسي وأثرِه من خلالِ مستويات التحليل الصوتيّ والصرفيّ والنحويّ.

وقد اقتضت طبيعةُ البحثِ أن يعتمدَ على مقدمةٍ وتمهيدٍ، وأربعةِ مباحث، وخاتمة وفهرس للمصادر، وتحدثتُ في المقدمةِ عن أهميةِ الموضوع، وأسبابِ اختياره، وهدفِ الدراسة، ومنهجِ الدراسة، وخطةِ البحث، والدراسات السابقة.

ثم التمهيد وتحدثتُ فيه عن تعريفِ الانفعال، ثمَّ انفعال الندمِ وتعريفه، ثم تحدثتُ عن لفظ ﴿كَرَّةً﴾ في القرآنِ الكريم، ثم تحدثتُ عن تعريفِ علمِ اللغةِ النفسي ومجالاتِه، ثم خصصتُ لكلّ موطنٍ من المواطنِ الأربعة التي وردت فيها كلمة ﴿كَرَّةً﴾ مقترنةً بانفعالِ الندمِ في القرآن الكريم مبحثًا.

وتناولتُ في المبحثِ الأولِ الموضعَ الأول، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ (البقرة: ١٦٦ – ١٦٧).

ثم المبحث الثاني والذي يتناول الموضع الثاني وهو قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (االشعراء ٩٦-١٠٢).

ثم المبحث الثالث والذي يتناول الموضع الثالث وهو قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الزمر ٥٦-٥٨).

ثم المبحث الرابع والذي يتناول الموضع الرابع وهو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ (النازعات ٦- ١٤).

ثم الخاتمة التي تضمُّ أهمَّ نتائج البحث، ثم فهرس المصادر والمراجع.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هناك دراسات تحدثت عن الانفعالات النفسية منها:

١. القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ٢٠٠١م، وقد تناول مؤلفه الانفعالات في القرآن الكريم كالخوف والحزن والندم وغيرها من الانفعالات.

٢. الندم في القرآن الكريم، بشار عبد اللطيف علوان الفراجي، بحث منشور في مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، مجلد(١)، عدد (٥٠)، ٢٠١١م، وتناول الباحثُ فيه بعضَ الآيات القرآنية التي تخصُّ موضوعَ الندم، وضربَ أمثلةً عليه منها: ندم ابن آدم على قتلِ أخيه، وندم المنافقين عند افتضاح نفاقهم، وندم المكذبين بالبعث حين يرون العذاب.

٣. انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام وقيمه الإيجابية، دراسة في القصص القرآني، عودة عبد الله. رسمية عبد القادر حنون، إبراهيم عبد الرحيم داود. مجلة دراسات –الجامعة الأردنية، المجلد (٤٤)، العدد(١)، ٢٠١٥م.

وهذا البحث رغم أنَّه تحدثَ عن انفعالِ الندمِ في القرآن الكريم، فإنَّه تناوله من خلالِ بعض المواقف التي عرضها القصصُ القرآنيّ والتي حصلَ فيها الندمُ عند الأنبياء عليهم السلام، وليس مقترنًا بلفظة ﴿كَرَّةً﴾ كما في هذه الدراسة التي بين أيدينا.

٤. الترابط الدلالي بين الانفعالات النفسية والحركات الجسدية في القرآن الكريم، د. فاطمة أحمد شتيوي، بحث منشور بحولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، المجلد السادس والعشرون، الجزء الخامس، يونيو ٢٠٢٢م، وقد تناولت فيه الباحثةُ الحركات الجسدية ودورها الدلالي في التعبير عن الانفعالات في القرآن الكريم، ومن بين هذه الانفعالات انفعال الندم والتأسف والحسرة، حيث بيَّنت كيف أبرزَ القرآنُ الكريمُ هذا الانفعال بالحركاتِ الجسديَّةِ كتقليبِ الكفَّين وعضِّ اليدين.

ولم أقف على بحوث أخرى تناولت انفعال الندم في القرآن الكريم من وجهة النظر اللغوية.

وأسأل الله ﷻ أن أكون وفقت فيما قصدت وأن يغفر لي ما وقعت فيه من تقصير أو زلل، إنه سميع مجيب الدعاء.

التمهيد

أولا: تعريف الانفعال:

الانفعال في اللغة :

الانفعال مصدر من الفعل (انفعل)، وفي اللغة: "وفَعَلْت الشَّيْءَ فانْفَعَل: كَقَوْلِكَ كسَرْته فانكسَر"(١)، وفي المعجم الوسيط: "(انفعل) مُطَاوع فعله فَهُوَ منفعل وبكذا تأثر بِهِ انبساطا وانقباضا"(٢).

الانفعال في الاصطلاح:

عرَّف الجرجاني الانفعالَ بقوله: "الانفعال وأن ينفعل هما الهيئة الحاصلة للمتأثرِعن غيره بسبب التأثير أولا كالهيئة الحاصلة للمنقطع ما دام منقطعًا"(٣).

والانفعالُ "حالةٌ وجدانيّةٌ يثيرها مؤثرٌ ما في الكائن الحي، وتصحبها تغيراتٌ فسيولوجيّة، وتكون الإثارةُ نتيجةً لتعطيلِ فعلٍ أو سلوكٍ ينزع إليه الفردُ أو نتيجةً لتحقيق رغبة"(٤).

الانفعال عند علماء النفس:

عرَّف علماءُ النفس الانفعالات بأنَّها: "استجابات فسيولوجية وسيكولوجية تؤثر في الإدراك في التعلم وفي الأداء"(٥).

والانفعال "حالة وجدانيةٌ حادَّةٌ وفجائيةٌ، مضطربة وغير منظمة تختلف عن الحالة الاعتيادية للفرد، تتَّسمُ بالاستثارةِ والتنبهِ والتوترِ والرغبةِ في القيام بعملٍ ما،

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (فعل)٥٢٩/١١.

(٢) المعجم الوسيط، (فعل) ٦٩٥/٢.

(٣) كتاب التعريفات للجرجاني، ص ٣٩.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، (فعل) ١٧٢٥/٣.

(٥) الدافعية والانفعال، ص ١٠١.

وللانفعالِ مكوناتٌ داخليةٌ (فيزيولوجية وشعورية ومعرفية) وخارجية (سلوكية كتعبيرات الوجه)، وتعتمد هذه الحالة على مواقف معينة، وتستثير ردودَ أفعالِ الفرد المتطرفة، والتي توجه عادة نحو مصدر الانفعال، ويشملُ الانفعال بوجه عام مشاعر قوية أو حالات وجدانية إيجابية أو سلبية، ومن أمثلة الانفعالات: السرور، والغضب، والخوف، والحب، والرعب، والكره، والحزن.. وغيرها... ويصاحب الحالة الانفعالية والاستجابة الانفعالية استجابات فيزيولوجية مثل ضغط الدم وسرعة ضربات القلب وزيادة معدل التنفس وجفاف الحلق واتساع إنسان العين وحركة المعدة والأمعاء وتوتر العضلات"(١).

وهو يدخلُ في تكوينِ كثير من الدوافعِ الإنسانية المركبةِ في تكوينِ الاتجاه والعاطفة والانحيازِ والعقدةِ النفسية والحالة المزاجية والمعتقدات والقيم، ويتسمُ بسماتٍ ثلاث:(٢).

١. حالة قوية تكون مصحوبةً باضطراباتٍ فيسيولوجيةٍ تغشى أجهزة التنفس والدورة والهضم والجهاز العضلي والجهاز الغدي الهرموني.

٢. وهو حالة تكون بصورةٍ مفاجئة.

٣. تتخذ صورة أزمة عابرة طارئة، فلا تبقى وقتًا طويلا.

ويبين د. محمد عثمان نجاتي التغييرات البدنية المصاحبة للانفعال؛ فالإنسان إذا انفعلَ "حدثت تغيراتٌ فسيولوجيةٌ كثيرةٌ في بدنه، كما حدثت تغيرات في هيئتِه الخارجية، وفي ملامحِ وجهه، ومن بين هذه التغيرات الفيسيولوجية.... شدة دقاتِ القلبِ، وتقلص الأوعية الدموية في الأمعاءِ والأحشاء، واتساع الأوعية الدموية على سطح البدن والأطراف،.... ومن جهة أخرى، فإنَّ الإنسانَ المنفعل يشعرُ أنَّ

(١) المعجم العربي للسمات الوجدانية، ص٨ وما بعدها.

(٢) ينظر: أصول علم النفس ١٢٧.

قلبَه من شدةِ خفقانه يصلُ إلى حنجرتِه.... ومن التغيراتِ البدنيةِ التي تصاحبُ الانفعال أيضا تغير ملامح الوجه بحيث يستطيعُ الإنسان أن يلاحظَ حالةَ الانفعالِ من التغيراتِ التي تحدث في ملامحِ وجه المنفعل"(١).

ثانيا: تعريف الندم:

الندم في اللغة:

يدور معنى الندم في اللغة حول الأسف والحزن، جاء في العين: "النَّدَمُ والنَّدامة واحد، ونَدِمَ فلان فهو نادِمٌ.... والتَنَدُّمُ: التَحَسُّر، وهو أن يتَّبِعَ الإنسانُ أمراً نَدَماً"(٢).

وفي المقاييس:" النُّونُ وَالدَّالُ وَالْمِيمُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَفَكُّنٍ لِشَيْءٍ قَدْ كَانَ، يُقَالُ: نَدِمَ عَلَيْهِ نَدَمًا وَنَدَامَةً"(٣).

و"النَّدْمُ والنَّدَامَةُ: التَّحَسُّر من تغيُّر رأي في أمر فَائِتٍ"(٤)، وعرَّفه الجرجاني بأنه:"غم يصيب الإنسان، ويتمنى أن ما وقع منه لم يقع"(٥)، وقد يضاف إليه التوبة، يقال:"ندِم الشّخصُ على ما فعل: أسِف وحَزِن وتاب"(٦).

والحَسْرَةُ: أَن يركب الإِنْسَان من شدَّة النَّدَم مَا لا نِهَايَة بعده(٧)، وهي: "أَشدَّ النَّدَمِ حَتَّى يَبْقَى النَّادِمُ كالحَسِيرِ مِنَ الدَّوَابِّ الَّذِي لا مَنْفَعَةَ فِيهِ. وَقَالَ ﷻ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾؛ أَي حَسْرَةً وَتَحَسُّرًا" (٨).

---

(١) القرآن وعلم النفس، ص١٠٨ وما بعدها.
(٢) كتاب العين، ٥٢/٨ وما بعدها.
(٣) مقاييس اللغة، ٤١١/٥ (ندم).
(٤) المفردات في غريب القرآن، ص ٧٩٦.
(٥) التعريفات، ص٢٤٠.
(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة ٢١٨٧/٣.
(٧) المحكم والمحيط الأعظم، ١٨١/٣
(٨) لسان العرب١٨٩/٤ ، والآية الكريمة من سورة فاطر:٨

الندم في الاصطلاح:

أما تعريفه في الاصطلاح فلا يختلفُ عن تعريفه اللغوي، ويُعرف بأنَّه:" ما يجد الإنسانُ في نفسِه من الألمِ والحسرةِ عقب كل فعلٍ ضار"(١).

وعرَّفه ابن عاشور بأنَّه:" أسفٌ يحصلُ في النفسِ على تفويتِ شيء ممكن عمله في الماضي، والندم من هواجسِ النفسِ، فهو أمرٌ غير ظاهر ولكنَّه كثيرٌ، أي يصدرُ عن صاحبِه قولٌ أو فعلٌ يدلُّ عليه" (٢).

الندم عند علماء النفس:

عرَّفَ علماءُ النَّفسِ هذا الانفعال بأنَّه: "حالةٌ انفعاليةٌ تنشأ عن شعورِ الإنسانِ بالذنبِ، وأسفِه على ارتكابِه، ولومِه لنفسه على ما فعل، وتمنِّيه لو أنَّه لم يفعلْ ذلك"(٣).

وعرَّفه ديكارت بأنَّه" نوعٌ من الحزنِ يأتي من أننا نعتقد بأننا قد ارتكبنا عملا سيئًا معينًا وهو حزنٌ مرُّ المذاقِ لأنَّ سببَه لا يأتي إلا منَّا، غير أنَّ هذا لا يمنعه من أن يكونَ نافعًا جدًا وذلك حين يكونُ العمل الذي نندم عليه هو في الحقيقية عمل سيء ونحن متأكدون من هذا الأمر، والنفع هنا هو أنَّ حزنَنا في مثل هذا الحال يحثنا على أن نعملَ بطريقةٍ أفضل في المرةِ القادمة"(٤).

ويوضح سميح زين تأثيرَ الندمِ على الإنسانِ بقوله: "الندم له تأثيره في النفس، لأنَّه يعبرُ عن حالةٍ انفعاليةٍ تنشأ عن الشعورِ بالذنبِ أو التقصيرِ أو الأسفِ على الفعل الذي أورثه الندم، ولعلَّ مهمة الندمِ الأساسية تكمنُ في

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج١١/١٩٦.

(٢) التحرير والتنوير ١١/١٩٨ .

(٣) القرآن وعلم النفس، ص ١٠٣.

(٤) انفعالات النفس، ص١١٣.

إدراكِ الإنسان للسوءِ الذي ارتكب، وعزمِه على تجنبِه أو الإفلات منه مستقبلا، وهذا فضلٌ عظيمٌ للإنسانِ، بالعودةِ إلى تقويمِ نفسه، حتى لا يظل سادرًا في المعاصي والذنوب(١).

الندم في القرآن الكريم:

جاء التعبير عن الندم في القرآن الكريم بأساليب متنوعة، تعبر عن هذا الانفعال، وتجسدُ أثرَه في النفس، وقد عبَّر القرآنُ الكريم عن هذا الشعور، باستخدامِ الألفاظ التي تحملُ دلالةَ الندمِ والحسرة، كالتعبير بـ ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ في قوله تعالي: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ (المائدة: ٣١).

ومن مظاهر التعبير عن الندم في الأسلوبِ القرآني أيضًا تمنِّي الرجوع إلى الدنيا، باستعمال لفظ ﴿كَرَّةً﴾ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢﴾ (الشعراء: ١٠٢)، أو بغيرها من الأساليب كما في قوله تعالي: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ (المؤمنون ٩٩ : ١٠٠).

ويرسمُ القرآنُ الكريم الانفعالات النفسية التي ترافق هذا الشعور بالأفعالِ والحركات الجسدية، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧﴾ (الفرقان:٢٧) فقد كشف النظم القرآني عن "مقدار الحسرة والخيبة، والندم والألم، والجزع والفزع، الذي حلَّ بهذا الظالم حتى إنَّ هذا الشعور لم يعد مجردَ إحساسٍ داخلي وألم نفسي، بل تحول إلى إيلام جسدي عن طريقِ عضه لِيَدَيْه"(٢).

(١) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، ص ٣١١-٣١٢

(٢) الترابط الدلالي بين الانفعالات النفسية والحركات الجسدية في القرآن الكريم، ص٤٦٣٤.

كما جمع القرآنُ الكريم بين التعبيرِ عن الندمِ بالقولِ الذي يدلُّ على مقدارِ الحسرةِ والألم، وبالفعلِ وهو تقليب الكفَّين، في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢﴾ (الكهف: ٤٢)، "فتقليبُ الكفين تأسفًا وتحسرًا عادةُ النادمين، فالنادمُ يضربُ يديه واحدة على الأخرى للدلالةِ على الندم والحسرة"(١).

ثالثا: لفظ ﴿كَرَّةً﴾:

جاء في المقاييس: "الكاف والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جمعٍ وترديدٍ، من ذلك كررتُ، وذلك رجوعك إليه بعد المرةِ الأولى" (٢)، و"الكَرُّ: الرُّجُوعُ، يُقَالُ: كَرَّه وكَرَّ بِنَفْسِهِ، يَتَعَدَّى وَلا يَتَعَدَّى، والكَرُّ: مَصْدَرُ كَرَّ عَلَيْهِ يَكُرُّ كَرًّا وكُروراً وتَكْراراً: عَطَفَ، وكَرَّ عَنْهُ: رَجَعَ، وكَرّ عَلَى الْعَدُوِّ يَكُرُّ؛ وَرَجُلٌ كَرَّار ومِكَرّ، وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ. وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره: أَعاده مَرَّةً بَعْدَ أُخرى. والكَرَّةُ: المَرَّةُ، وَالْجَمْعُ الكَرَّات. وَيُقَالُ: كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وكَرْكَرْتُه إذا رَدَّدْتُهُ عَلَيْهِ، وكَرْكَرْتُه عَنْ كَذَا كَرْكَرَةً إذا رَدَدْته. والكَرُّ: الرُّجُوعُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ التَّكْرارُ "(٣).

ويدور المعنى المحوري للفظِ حولَ" معاودة الشيء إتيانًا أو انتقالا إليه مرةً بعد أخرى لتحصيله كما يُفعل بالكَرّ المذكور: إما لأنه يُعاد الصعود به مع أنه ليس سُلَّمًا فلا يُتوقَّع منه ذلك، وإما لأن الارتفاع به يقع مسافةً بعد مسافة"(٤)

وقد ورد لفظ ﴿كَرَّةً﴾ في القرن الكريم في ستة مواضع: (٥)

---

(١) الترابط الدلالي بين الانفعالات النفسية والحركات الجسدية في القرآن الكريم، ص٤٦٣٣.

(٢) مقاييس اللغة ١٢٧/٥ (كرَّ).

(٣) لسان العرب١٣٥/٥(كرر).

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ١٨٨١/٤ وما بعدها .

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٦٠٢

الموضع الأول: سورة البقرة :١٦٧:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧ ﴾ وقد دلَّ اللفظ في هذه الآية الكريمة على معنى الرجوع إلى الدنيا، حيث يتمنى الأتباع لو أنّ لهم رجعةً إلى الدنيا بعد أن تبرأ المتبوعون منهم يوم القيامة.

الموضع الثاني: سورة الإسراء: ٦:

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦ ﴾.

ولم أتعرض لهذه الآية بالدراسة لأنها لا ترتبط في هذا السياق بانفعال الندم، فالله ﷻ يخبرنا أنه:" قَضَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ، أَيْ: تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرَهُمْ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ سَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَيَعْلُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، أَيْ: يَتَجَبَّرُونَ وَيَطْغَوْنَ وَيَفْجُرُونَ عَلَى النَّاسِ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا أَيْ: أُولَى الإِفْسَادَتَيْنِ سَلَّطْنَا عَلَيْكُمْ جُنْدًا مِنْ خَلْقِنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، أَيْ: قُوَّةٍ وَعُدَّةٍ وَسُلْطَةٍ شَدِيدَةٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ أَيْ: تَمَلَّكُوا بِلادَكُمْ وَسَلَكُوا خِلالَ بُيُوتِكُمْ، أَيْ: بَيْنَهَا وَوَسَطَهَا، وَانْصَرَفُوا ذَاهِبِينَ وَجَائِينَ لا يَخَافُونَ أَحَدًا وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا، وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ فِي هَؤُلاءِ الْمُسَلَّطِينَ عَلَيْهِمْ: مَنْ هُمْ؟ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ: أَنَّهُ جَالُوتُ الجَزَرِيّ وَجُنُودُهُ، سُلِّطَ عَلَيْهِمْ أَوَّلا ثُمَّ أُدِيلُوا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ. وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا"(١)

(١) تفسير ابن كثير ٤٧/٥(بتصرف)

و"الحديث موجَّه إلى بني إسرائيل؛ أي: جعلنا لكم الغلبة، والقوة، والنّصر على أعدائكم، وسلطناكم عليهم، وسواء أكان ذلك بقتل داود لجالوت، أو قتل بختنصر، وقيل: الكرة الأولى: كانت للمسلمين في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم–، والكرة الثانية: كانت لليهود على المسلمين"(١).

"وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ صَارُوا بَعْدَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ الأُولَى أَكْثَرَ انْضِمَامًا وَأَصْلَحَ أَحْوَالا، جَزَاءً مِنَ اللَّهِ تعالى لهم على عودهم إلى الطاعة"(٢).

الموضع الثالث: سورة الشعراء : ١٠٢:

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

وقد دلَّ لفظ الكرة في هذه الآية على معنى الرجوع، فيتمنى الضالُّون الرجوعَ إلى الدنيا ليؤمنوا بالله وحده بعد أن تخلَّى عنهم الشفيعُ والصديقُ والحميمُ.

الموضع الرابع: سورة الزمر: ٥٨:

قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

ويدلُّ اللفظ هنا أيضًا على معنى الرَّجعةِ؛ حيث تتمنى النفسُ الرجوعَ إلى الدنيا لتكونَ من الذين أحسنوا العقيدةَ والعمل.

---

(١) تفسير القرآن الثري الجامع ٦/١٥.

(٢) تفسير القرطبي ٢١٧/١٠.

الموضع الخامس: سورة النازعات: ١٢:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾.

والكرَّة في هذه الآية بمعنى الرَّجعة؛ أي أن الرجعةَ إلى الحياةِ بعد الموتِ ستكون خاسرةً، بعد أن كذَّب المنكرون نبيَّهم، واعتقدوا بعدمِ البعث.

الموضع السادس: سورة الملك: ٤ :

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ .

وقد ورد اللفظ في هذه الآية بصيغة المثنى، ولم أتعرض لها بالدراسة لأنها ليست مرتبطةً في هذا السياقِ بانفعالِ الندم الذي يتناوله البحثُ، فاللهﷻ يباهي في هذه الآية بإحكامِ خَلقِه، وإتقانِ صنعِه، بأنَّه أقامَ الكونَ وفق نظامٍ محكمٍ، ليس فيه أيُّ خلل، فإنَّك " لَوْ كَرَّرْتَ الْبَصَرَ، مَهْمَا كَرَّرْتَ، لانْقَلَبَ إِلَيْكَ، أَيْ: لَرَجَعَ إِلَيْكَ الْبَصَرُ، خَاسِئًا عَنْ أَنْ يَرَى عَيْبًا أَوْ خَلَلا وَهُوَ حَسِيرٌ أَيْ: كَلِيلٌ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ الإِعْيَاءِ مِنْ كَثْرَةِ التَّكَرُّرِ، وَلا يَرَى نَقْصًا" (١)

أثر دلالة لفظ ﴿كَرَّةً﴾ على نفس المتلقي في الآيات محل الدراسة:

يُنظر إلى الألفاظ في إطارِ علم اللغةِ السلوكي بوصفها مثيرات لغوية تستدعي استجاباتٍ ذهنيةٍ أو سلوكيةٍ لدى المتلقي، حيث تفسرُ النظريةُ السلوكية سلوكَ الإنسان بطريقةٍ فيسيولوجية، يقول بلومفيلد: إنَّ تقديمَ تعريف علمي لمعنى كل صيغةٍ في لغةٍ ما، يوجبُ علينا أن نكونَ عارفين تمامًا لكلِّ شيء في عالَمِ المتكلِّمِ

(١) تفسير ابن كثير ١٧٧/٨.

بهذه اللغة ولكن القدْرَ الحقيقي لمعرفةِ الإنسان بهذا العالَم قدرٌ ضئيلٌ جدًا، قد تكون لدينا المقدرةُ على تحديدِ معنى كلمةٍ من الكلماتِ تحديدًا علميًّا، وذلك عندما يكونُ هذا المعنى مختصًّا بأشياء لنا معرفة علمية بها"(١).

ويُعدُّ استعمال القرآن الكريم للفظ ﴿كَرَّةً﴾ مثالا دالا على هذا النمط، إذ يُحدث عند المتلقي استجابةً انفعاليةً ترتبطُ بمعنى العودة والرجوع المستحيلِ إلى الحياةِ بعد الموتِ، وقد ساعدَت البنيةُ الصوتيَّةُ المشددةُ، والنغمةُ القويَّةُ للكلمةِ، وبناؤها الصرفي على ذلك، حيث تعملُ كمثيرٍ لغويٍّ يولد استجاباتٍ وجدانيةٍ كالخوفِ والندم، أما على المستوى السلوكي، فيتجلَّى في تحفيزِ تصوراتٍ ذهنيَّةٍ حركيَّةٍ تجعلُ المتلقي يشعرُ بمدى الندمِ الذي لحق بمن صدرَ عنه هذا التمني وهو الرجوع إلى الحياةِ الدنيا، "ذلك أنَّ المعنى الذي تقومُ به الوحداتُ في داخلِ التركيبِ يتأثرُ تأثرًا واضحًا بما سمي بالسياق فيتغير هذا المعنى بتغيرِ السياق فلم يعدْ وقفًا على المعنى القاموسيّ وإنَّما يأخذُ اتجاهًا جديدًا نحو التخصيصِ أو التعميمِ أو التقييدِ أو الإطلاقِ أو الإجمالِ أو التفصيل.."(٢).

كما "ينشأُ المعنى النفسيُّ استجابةً لما يمثلُه اللفظُ من مثيرٍ، يلقى أثرًا انفعاليًّا معيّنًا عند الفردِ ، فيعكسُ هذا المعنى جانبًا من اهتماماتِ هذا الفرد وتطلعاتِه، وانفعالاتِه، فيحاولُ التعبيرَ عنها، أو إخراجَها على هيئةِ استجابةٍ انفعاليةٍ يحملُها المعنى ....وكثيرًا ما يكونُ المعنى صدىً لحالةٍ نفسيَّةٍ شعوريةٍ يعيشُها المتلقي، لا حالة دلالية يمثلُها اللفظُ في سياقِ استعماله النصيّ، فيظهر المعنى رصدًا لهذه الحالة الانفعالية على نحوٍ من الانعكاسِ أو ردِّ الفعلِ"(٣).

---

(١) علم اللغة بين القديم والحديث، ص٣٣٣ .

(٢) في علم اللغة العام، ص١٩٩ وما بعدها.

(٣) الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، ص١٩ .

رابعا: علم اللغة النفسي:

هو من فروعِ علمِ اللغةِ الحديث، يتَّخذُ من التجريبِ منهجًا، ولم يتبلورْ إلا في أوائلِ الستينات من القرنِ الماضي، وهو علمٌ هجينٌ يتكونُ من علمين معًا، هما: علم اللغة وعلم النفس.

وقد فرضت العلاقةُ بين علمِ اللغة وعلمِ النفس نفسَها على الباحثينَ، وأقبلوا على دراستِها؛ "فالعمليةُ الكلاميةُ تعتمدُ بالنسبةِ لكلٍّ من المتكلمِ والمخاطَبِ، على الجوانبِ النفسيَّةِ التي لا يمكنُ إغفالها وتجاهلها، كما أنَّ نظريةَ التعليمِ والتعلُّمِ ترتبطُ بالقدراتِ النَّفسيةِ من الذكاءِ والإحساسِ والتفكير ارتباطًا قويًّا"(١)

تعريف علم اللغة النفسي:

وردت عدة تعريفات لهذا العلمِ تتشابهُ في جوانب معينةٍ، وتختلفُ في جوانب أخرى بحسبِ خلفيات أصحابها واختلافِ نظرتهم إلى هذا العلم وترتيب موضوعاته، فقد عرَّفَه ديفيد كريستال في معجمِه اللغويّ النظريّ بأنَّه: فرعٌ من فروعِ علمِ اللغةِ يدرسُ العلاقةَ بين السلوكِ اللغوي والعملياتِ النفسيَّةِ التي يعتقد أنَّها تفسرُ ذلك السلوك، كما يعرف أيضا بأنَّه: العلمُ الذي يهتمُّ بدراسةِ العملياتِ العقليَّةِ التي تتمُّ في أثناءِ استعمال الإنسان للغة، فهمًا وإنتاجًا، كما يهتمُّ باكتسابِ اللغة نفسها(٢).

وعرّفه جلال شمس الدّين بأنّه: "علمٌ يدرس ظواهرَ اللغةِ ونظرياتها، وطرق اكتسابها وإنتاجها من الناحيةِ النفسيّةِ مستخدمًا أحد مناهج علم النفس"(٣)

فعلمُ اللغةِ النفسي يُعدُّ واحدًا من ميادينِ الدراسات التي ينظمُها علمُ اللغةِ في عالمِنا المعاصر؛ ذلك لأنَّ "العلاقة بين اللغة والنفس الإنسانية لا تقل

(١) في علم اللغة العام، ص٦٠.

(٢) ينظر: علم اللغة النفسي، عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، ص٢٦ .

(٣) علم اللغة النفسي، مناهجه ونظرياته وقضاياه ٩/١.

أهميةً في مضمارِ بحوثِ علمِ اللغةِ عن العلاقةِ التي بين اللغةِ والمجتمع، فاللغةُ – كما يقولون – المرآةُ التي تنعكسُ عليها التياراتُ النفسيَّةُ والعواطفُ والانفعالات، ومن هنا فكثيرٌ من الظواهرِ اللغوية، ونسبةٌ كبيرةٌ من حجمِ التطورِ الذي أصابَ اللغةَ في جميع مستوياتها: (صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية) ترجعُ إلى الحالاتِ السيكولوجيةِ التي يعيشُها أبناءُ اللغة"[١]، ويهدفُ علمُ اللغةِ النفسي إلى "استخدامِ التجريب للكشفِ عن العملياتِ العقليَّةِ المتضمنة في استخدام اللغة"[٢].

وقد وضعَ جلال شمس الدين معيارًا يجعلُنا ندرجُ قضيةً ما داخل إطارِ علمِ اللغةِ النفسي، أو نخرجُها منه، وهو أن تكونَ هذه القضية مرتبطةً حال دراستِها بعمليةٍ من العملياتِ النفسيَّةِ، كالإحساسِ أو الانتباهِ أو الإدراكِ أو التذكُّرِ، أو الفهمِ أو غير ذلك، وفي حالة عدم ارتباطها بواحدةٍ من العملياتِ النفسيَّةِ فإنَّه يستحيلُ على علمِ النفسِ أو أي فرع من فروعِه أن يدرسَها لأنَّها في هذه الحالة لا تقعُ في نطاقِه، وإنما تقع في نطاقِ علمِ اللغةِ، ومثال ذلك قضية المشترك اللفظي، وهو أن تكونَ للكلمةِ الواحدةِ عدةُ معاني مختلفة، متقاربة أحيانًا، ومتباعدة أحيانًا أخرى، فإنَّها غيرُ مرتبطة بأيّ عمليةٍ نفسيَّةٍ، ولذلك فإنَّها لا تخضعُ للدراسةِ النفسية، وتصبح من صميمِ مواضيع علمِ اللغة، ولكن إذا أمكنَ ربط هذه الظاهرة بالتذكرِ أو الفهمِ مثلا، كأن نفترض أنَّ المشتركَ اللفظي يؤثرُ على التذكُّرِ أو الفهم، عندئذ تصبح هذه الظاهرة من ضمنِ مواضيع علم اللغة النفسي، أو علم النفس اللغوي[٣].

(١) في علم اللغة العام، ص٢٠ وما بعدها.

(٢) علم اللغة النفسي، مناهجه ونظرياته وقضاياه ٩/١.

(٣) علم اللغة النفسي، مناهجه ونظرياته وقضاياه ١١/١-١٢.

مجالات علم اللغة النفسي وموضوعاته[١]:

١.فهم اللغة، سواء أكانت منطوقة أو مكتوبة؛ حيث يركز في هذا المجال على الدراسةِ التفصيليةِ للعملياتِ العصبيةِ والعقليةِ، المستخدمة في فهمِ اللغة؛ كاستقبالِ الرسالة اللغوية والتعرفِ عليها، وتحديدِ معنى الكلمات في الرسالة، وفهمِ جملها.

٢.استعمال اللغة أو إصدار الكلام، حيث يركز في هذا المجال على إنتاجِ الكلام، بدءًا بالعملياتِ النفسية التي تسبقُ الكلامَ، ومرورًا بإنتاجِ الكلام نفسه فسيولوجيًّا، ثم مروه بالوسطِ الفيزيائي الناقل له حتى وصوله إلى أذنِ السامع، وما يرتبط بهذه العمليات من مراحل وما يحدث من مشكلات في نقل الرسالة.

٣.اكتساب اللغة، سواء أكانت لغة أمًّا، أم لغة ثانيه أو أجنبية.

٤.العمليات التواصلية وما يرتبط بها من نواحٍ فيسيولوجية وفيزيائية وسمعية وعصبية، والعوامل المؤثرة في ذلك.

٥.المشكلات والاضطرابات اللغوية كعيوب النطق الخلقية، أو العيوب اللغوية التي تحدث نتيجة إصابة عضو من أعضاء النطق أو السمع أو البصر، أو ما يرتبط بها من أعصاب أو أجهزة في مراكز اللغة في الدماغ.

٦.الثنائية اللغوية والتعددية اللغوية، ودراسة ما يتعلق بهما من مسائل ومشكلات في اكتساب اللغات الأم أو الثانية.

٧.دراسة العمليات النفسية التي تحدث في أثناء القراءة، تلك العمليات التي أصبحت علمًا مستقلا، أطلق عليه علم القراءة النفسي أو علم نفس القراءة المعروفة بسيكولوجية القراءة.

---

(١) ينظر: علم اللغة النفسي، عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، ص:٣٦ وما بعدها .

٨.لغة الإشارة عند الصم من حيث الاستعمال والاكتساب والتقعيد وما يتعلق بها من قضايا ومشكلات.

٩.الذكاء الصناعي الذي ازدهرت الدراسات فيه في السنوات الأخيرة، نتيجة ثورة المعلومات الحاسوبية.

المبحث الأول

الموضع الأول:

قوله تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ (البقرة: ١٦٦ – ١٦٧).

المعنى العام للآيات الكريمة:

تتحدث الآيات عما يحدث للأتباع بعد أن تخلى عنهم متبوعوهم، وكيف "أَنَّ السَّادَةَ وَالرُّؤَسَاءَ تبرؤوا مِمَّنِ اتَّبَعَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ. وَقَوْلُهُ: وَرَأَوُا الْعَذابَ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ: يَعْنِي التَّابِعِينَ وَالْمَتْبُوعِينَ قِيلَ: عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ فِي الدُّنْيَا وَقِيلَ: عِنْدَ الْعَرْضِ وَالْمُسَاءَلَةِ فِي الآخِرَةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: فِيهِمَا جَمِيعًا، إِذْ لا مَانِعَ مِنْ ذلك"(١).

يقول الرازي:"مَعْنَى الآيَةِ أَنَّ الْمَتْبُوعِينَ يَتَبَرَّءُونَ مِنَ الأَتْبَاعِ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَبَيَّنَ تَعَالَى مَا لأَجْلِهِ يَتَبَرَّءُونَ مِنْهُمْ وَهُوَ عَجْزُهُمْ عَنْ تَخْلِيصِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي رَأَوْهُ لأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ يَدْخُلُ فِي مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا إِلَى تَخْلِيصِ أَنْفُسِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ سَبَبًا، وَالآيِسُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ يَرْجُو بِهِ الْخَلاصَ مِمَّا نَزَلَ بِهِ وَبِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْبَلاءِ يُوصَفُ بِأَنَّهُ تَقَطَّعَتْ بِهِ الأَسْبَابُ..... أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ فَذَلِكَ تَمَنٍّ مِنْهُمْ لأَنْ يَتَمَكَّنُوا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى الدُّنْيَا وَإِلَى حَالِ التَّكْلِيفِ فَيَكُونُ الاختيار إليهم حتى يتبرءون منهم في الدنيا كما تبرؤا مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَفْهُومُ الْكَلامِ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَا يُقَارِبُ الْعَذَابَ فَيَتَبَرَّءُونَ مِنْهُمْ وَلا يُخَلِّصُونَهُمْ وَلا يَنْصُرُونَهُمْ كَمَا فَعَلُوا بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(٢).

---

(١) فتح القدير، للشوكاني ١/١٩١.

(٢) مفاتيح الغيب ٤/١٧٩ وما بعدها.

الدراسة التحليلية:

أولا: الانفعال المصاحب في الآيات:

تُبين الآياتُ الكريمة ما يحدثُ يوم القيامةِ بين التابعين والمتبوعين، وتصوّرُ الموقفَ الذي أدَّى إلى انفعالِ الندم، عندما تبرأَ المتبوعون من التابعين، وتخاذلوا عنهم، وتَنَصلوا من وعودهم، ورأوا العذابَ، وأدركوا أنَّه واقعٌ لا محالة، وتقَطَّعَت الروابطُ التي كانت تربطُ بينهم في الدنيا، وهنا بدأَ انفعالُ الندمِ والحسرةِ يسيطرُ عليهم، وترتَبَ على ذلك سلوكٌ كردّ فعلٍ لهذا الندم، ظهرَ في صورةِ فعل لغوي، حيث تمنوا لو أنَّ لهم كرةً أخرى يعودون فيها إلى الحياةِ الدنيا، لينتقموا ممن تبرأوا منهم، وليلتزموا طاعةَ اللهِ ﷻ.

ويوحي سياقُ الآياتِ الكريمةِ أنَّ شعورَ الندمِ والحسرةِ صاحَبَ – كذلك– المتبوعين حين يتنصل منهم الأتباعُ حال رؤيتهم العذاب، وحين تتقطع بهم الروابطُ والصلاتُ، فهم قد اعتادوا على طاعتِهِم والانقيادِ لأوامرِهم، دون أن يُفكّروا في عاقبةِ ذلك، "وربما كان الميلُ إلى تكرارِ المألوف يرجعُ إلى أنَّ الإنسانَ ينزغُ بطبعِه إلى بذلِ أقل جهدٍ لبلوغِ غايته... وربما كان السببُ توجس الإنسان من الجديدِ ومن المجهول"(١).

فانفعالُ الندمِ في هذه الآيات كان له مثيرٌ يُنشِطُه وهو تبرؤ المتبوعين ممن اتبعوهم، والخوف من العذابِ الذي عاينوه، وكان هدفُه مجازاة المتبوعين بمثلِ ما فعلوه، بالعودةِ إلى الدنيا والتبرؤِ منهم، كما كان يهدفُ أيضًا إلى التخلصِ من العذابِ، وهذا الانفعالُ الشديدُ جعلهم يطلبون أمرًا مستحيلا وهو العودةُ إلى الحياةِ الدنيا، غافلين عن حقيقةِ أنَّ وجودَهم في النار أمرٌ دائمٌ، لن يستطيعوا الخلاصَ منه، "فالانفعالُ الشديدُ هو العدوُّ اللدودُ للتفكيرِ الهادئِ المنظمِ، ذلك لأنَّ المُنفعلَ يُركزُ ذهنَه ويجمده في فكرةٍ واحدةٍ ليس غير، هي موضوع انفعالِه، كما أنَّ

(١) أصول علم النفس، ص ١٠٣ .

الانفعالَ يعميه عن رؤيةِ كثيرٍ من الحقائقِ، ولا يتيح له الهدوء والتأمل اللازمين للتفكير السليم"[١].

ثانيا: الدلالة الصوتية في الآيات:

استطاع القرآنُ الكريمُ تصوير المعنى عن طريقِ استخدام الأصوات المنسجمة والمتناغمة لتوحي بالانفعالِ المصاحبِ في الآية وهو الندم؛ حيث سيطرت مشاعرُ الحنقِ والضيقِ والغيظِ من هؤلاء التابعين بعد خداعِهم من المتبوعين، وتمنَّوا لو يردُّوا لهم الجميلَ فيعودوا إلى الدنيا ليتبرؤوا من تبعيتِهم، ويتضح ذلك من خلالِ صوتِ الهمزةِ الذي بدأت به الآياتُ، لتدلَّ على قوةِ اتِّبَاعِهم وملازمتِهم لهم، وكأنَّ الهمزةَ بقوَّتِها وما تحتاج إليه من جهدٍ عند النطقِ بها يتناسبُ مع الجهدِ الذي كان يفعلُه هؤلاء الأتباع في تقليدِهم الأعمى لرؤسائِهم والسيرِ معهم في الضَّلالِ، وتوحي بشدةِ الألمِ والتحسُّرِ على صنيعِهِم وعلى ما فاتهم من نعيم، فاستعمالُ الأداةِ (إذ) تعبِّرُ عن لحظةِ التبرؤِ من المُتَّبِعين، بتكوّنِها من مقطعٍ صوتيٍّ واحدٍ يُنطق دفعة واحدة .

وقد بيّن النظم القرآني الأسباب التي أدت لهذا الانفعال والمتمثلة في تبرؤ المُتَّبَعين منهم ثم رؤيتهم العذاب وتفطع الأسباب بهم، ومن أجل هذا اختار من الألفاظ ما يصور هذه الحالة تصويرا دقيقا حيث استعمل:

١- الفعل ﴿تَبَرَّأَ﴾ والذي تدور مادتُه حول "التَّبَاعُد مِنَ الشَّيْءِ وَمُزَايَلَته"[٢]، يقال: "بَرِئَ إذا تخَلَّصَ، وبَرِئَ إذا تَنَزَّهَ وتباعَدَ"[٣]، و"تبرَّأ من الشَّخصِ: تخلّصَ منه وتخلَّى عنه وقطع صلته به"[٤].

---

(١) السابق، ص ١٣٩

(٢) مقاييس اللغة ٢٣٦/١(برأ)

(٣) لسان العرب ٣٣/١ (برأ).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٧٩/١.

وقد دلَّت أصواتُ الكلمةِ على معنى التباعدِ بدايةً من التَّاء التي تخرجُ من "طرفِ اللسانِ وأصولِ الثَّنايا العُليا" [١]، إضافةً إلى أن ما تتصفُ به من همسٍ واستفالٍ وانفتاحٍ يمكنُ أن يعزِّزَ الشعورَ بالقطعِ والانفصالِ عن الأشخاصِ السابقين الذين اتَّبَعوهم، وهنا يمكنُ رؤية أنَّ هذا الانفعال النفسي ناتجٌ من الانتقالِ من حالةِ الالتزامِ والمتابعةِ إلى حالةِ الابتعادِ والانفصال.

ثم الباء وهي حرفٌ مجهورٌ شديدٌ مصمتٌ، لتصوّرَ بجهرِها وشدَّتِها وضوحَ القادةِ في إعلانِهم البراءة من المُتَّبِعين والتخلي عنهم، كما أنَّها بقربِ مخرجِها تصورُ سهولةَ التخلصِ منهم والتخلي عنهم وعدم تمسكهم باتِّبَاعِهم .

أما صوت الرَّاء المشددِ، والذي ينتجُ من "التصاقٍ غير محكمٍ لعضوي النطقِ لفترةٍ قصيرةٍ يعقبها فتحُ الممرّ لفترةٍ قصيرةٍ أخرى، ثم يعودان للالتصاقِ فالانفراجِ، وهكذا عدة مرات"[٢] فيصور بوضوحٍ حالَ اتِّبَاعِهِم والتصاقِهم وملازمتِهم لهم ثم انفصالهم عنهم حال التبرؤ، كما تعطي دلالة تكرار التبرؤ واستمراره وعدم التراجع فيه، لما في الراء من "حريةِ خروجِ الهواءِ معها بسبب الاتصالِ والانفصالِ المتكررين"[٣] مما يعطي دلالةَ الطولِ والامتدادِ، وهو ما يتناسب مع معنى استمرار التبرُّؤ.

ثم اختُتِمَ الفعلُ بصوتِ الهمزةِ بما فيها من قوةٍ وشدَّةٍ؛ للتأكيد على قوةِ هذا الفعل.

٢- الفعل ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾: والذي يَدُلُّ عَلَى "صَرْمٍ وَإِبَانَةِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ. يُقَالُ: قَطَعْتُ الشَّيْءَ أَقْطَعُهُ قَطْعًا"[٤] وقوله: "تقطَّعت بهم الأسْبابُ: ذهبت

(١) مقدمة في علم أصوات العربية، ص٩٩ .
(٢) مقدمة في علم أصوات اللغة العربية، ص١٠٨.
(٣) علم الأصوات، ص ٣٥٣ : ٣٥٨.
(٤) مقاييس اللغة ١٠١/٥.

الصِّلاتُ التي كانت تربطهُمْ"[1]، وهذا الفعل باشتمالِه على صوتِ القافِ وهو صوتٌ مجهورٌ شديدٌ مستعلٌ، والذي يُعَدُّ من أقوى الحروفِ وأضخمها جرسًا، ثم صوتِ الطاء القوي بجهرِه وشدَّتِه واستعلائِه وإطباقِه وإصماتِه، وكل هذه الصفات ملامحُ قوَّةٍ تصور بقوتها حالتَهم العصبيةَ من الاضطرابِ وعدم الاستقرارِ النفسيّ نتيجة انقطاع الأسباب التي كانت تربط بينهم.

و﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾: "الْوُصَلُ الَّتِي كَانُوا يَتَوَاصَلُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الرَّحِمِ وَغَيْرِهِ، وَقِيلَ: هِيَ الأَعْمَالُ" [2]،" وأَصْلُه مِنَ السَّبَبِ، وَهُوَ الحَبْل الَّذِي يُتَوَصَّل بِهِ إِلى الماءِ، ثُمَّ اسْتُعِير لِكُلِّ مَا يُتوصَّل بِهِ إِلى شيءٍ"[3].

ووجودُ صوت السين الاحتكاكيّ كان له دورٌ في إظهارِ الحسرةِ والندمِ الشديدين، وما شعر به هؤلاء المُتَّبِعُون في قلوبهم، وهو بهمسِه يتناغمُ مع حالةِ الأسفِ والألمِ، كما أنَّ صفةَ الصفيرِ التي يتميزُ بها توحي بإعلانِ هذا التقطُّع الذي نتجت عنه الحسرةُ والألمُ، وينسجمُ مع انفعالاتِهم النفسية، كما أنَّ اختتامَ الآيةِ بالمقطع الطويل (ص ح ح ص) الذي يُنطق دفعة واحدة يصوّرُ الفَزَعَ الذي وجدوه حالَ اكتشافهم انقطاع الروابط والصلات، ويطيلُ الحركةَ الطويلةَ بين الصامتين فتشعر معها بالتهديدِ والخوفِ الشديد الذي لاقاه هؤلاء الأتباع.

ثم تأتي الآياتُ لتبينَ ردَّ الفعلِ الذي اتخذَّه المُتَّبِعُون؛ وهو تمَنِّيهم العودةَ ليردُّوا لهم الصنيعَ، فقالوا: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ .

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ١٨٣٥/٣.
(٢) فتح القدير ١٩١/١.
(٣) لسان العرب ٤٥٩/١.

والكرَّة "معاودة الشيء إتيانًا أو انتقالا إليه مرةً بعد أخرى لتحصيلِه... وكلّ معاودةٍ للشيء فهي كَرّة"(١).

فالكاف صوتٌ مهموسٌ مستفلٌ منفتحٌ مصمتٌ، ومن ثَمَّ فهو الأنسبُ لتصويرِ حالَ التوسُّلِ والانكسارِ، إضافة إلى ما تتسمُ به الكاف من شدَّةٍ دلَّت على شدةِ ندمِهم وصدقِ أمنيتِهم في العودة، وما في الرَّاءِ من معنى الاسترسالِ إضافة إلى تشديدها يؤكِّدُ هذا المعنى.

ثم يُعبِّرُ النَّصُ القرآني عن جزائِهم؛ والمتمثل في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾، "أي تلهفاً على ما فات، إطلاقاً للمسبب على السبب"(٢).

واستعمال صوت السين في ﴿حَسَرَٰتٍ ﴾ أشاع جوًّا من الصفيرِ في الآيةِ ليلفت انتباهَ المستمعِ ويثير انتباهَه دائمًا فيزداد ندمهم بعد هذا التهديد الذي يلاحقه التهديد بعدم خروجهم من النار ،أي تلهفاً على ما فات، إطلاقاً للمسبب على السبب كما جاء صوت الخاء المستعلي المفخم برخاوته وانفتاحه في قوله تعالى ﴿بِخَٰرِجِينَ ﴾ مما يضفي على الآية جرسًا عاليَ النغمةِ، فيه تهديدٌ لهؤلاء الكفارِ بخلودِهم في النار، وعدم خروجهم منها حتى وإن ندموا بعد رؤيتهم للعذاب وتمنَّوا كرةً أخرى إلى الدنيا، ليعزز التعبير عن الانفعال الشديد، "لأَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا لا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ تَعَيَّنَ أَنَّ تَمَنِّيَهُمُ الرُّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا وَحُدُوثَ الْخَيْبَةِ لَهُمْ مَنْ صُنْعِ رُؤَسَائِهِمْ لا فَائِدَةَ فِيهِ إِلا إِدْخَالُ أَلَمِ الْحَسَرَاتِ عَلَيْهِمْ وَإِلا فَهُمْ بَاقُونَ فِي النَّارِ عَلَى كُلِّ حَالٍ"(٣)

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ١٨٨٢.

(٢) نظم الدر في تناسب الآيات والسور ٢/٣١١.

(٣) التحرير والتنوير ٢/١٠٠.

ويُلاحَظُ في الآيات ما يأتي:

١. تكرار الأصواتِ المتوسطةِ بين الشدَّةِ والرخاوةِ، مما يوحي بانقلابِ المحبَّةِ المصطنعةِ إلى عداوةٍ، ويصف حالَهم حينما بلغَت حسرتُهم الغايةَ عندما اكتشفوا أنَّهم تمَّ خداعُهم من قادتِهم وأدركوا أنَّ اتِّبَاعَهم لهم وانقيادَهم لأوامرِهم صارت وبالاً عليهم، وأنَّ اتباعَهم لهم كان في الباطل،" فَبَيَّنَ أَنَّ الَّذِينَ أَفْنَوْا عُمْرَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ أَوْكَدُ أَسْبَابِ نَجَاتِهِمْ فإنهم يتبرءون مِنْهُمْ عِنْدَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِمْ ... [١]

٢. كما تكررت أصواتُ المدِّ بما تتسمُ به من الامتدادِ والاستمرارِ لتتناسبَ مع استمرارِ ندمهم وتعطي مساحةً للتنفيسِ عن غضبِهم ومشاعرهم فيتحسرونَ على عملِهم ويندمونَ على ما تركوا من حسناتٍ، كما أنَّ تكرارَ هذا الصائت الطويل يوحي بامتدادِ عذابهم في النار.

٣. تكرار صوت النون، المجهورِ بما فيه من وضوحٍ سمعيٍّ يصورُ هؤلاء الأتباع حين أعلنوا الندمَ والحسرةَ على اتِّباع قادة الضلالِ، ويبين موقفَ السادةِ الذين أعلنوا بكلِّ وضوحٍ تبرأهم من الفريقِ الآخر، وإنكارَهم كلَ صلةٍ كانت تربط بينهم، وأعلنوا تنصلَهم من متبوعيهم حينما رأوا العذاب وما يلاقونه من شقاء وألم.

٤. وتتوالى الأصواتُ المجهورةُ في الآيتين الكريمتين، كالهمزةِ والباءِ والرَّاء والعين، وغيرها من الأصوات التي توحي بوضوحِ الأعمالِ التي يريهم الله إيَّاها من الشركِ والمعاصي والتقليد، فيتحسرون على عملِهم ويندمون على ما تركوا من حسنات.

---

(١) تفسير الرازي ١٧٩/٤ وما بعدها.

ثالثا: الدلالة الصرفية:

- **دلالة الصيغ:**

١. الفعل ﴿ تَبَرَّأَ ﴾ جاء على صيغة (تفعَّلَ) والتي تستعمل "للعمل المتكرر فِي مهلة"(١).

كما تأتي بمعنى التكلف وهو حمل النفس على أمر فيه مشقة (٢)، وقد جاءت صيغةُ الفعل مناسبة لمعناه الذي يدلُّ على"تَكَلُّفِ الْبَرَاءَةِ وَهِيَ التَّبَاعُد مِنَ الأَمْرِ الَّذِي مِنْ شَأْنِ قُرْبِهِ أَنْ يَكُونَ مُضِرًّا"(٣)، والبراءة تعني "مفارقة الشيء والتخلص منه والانعتاق مما فيه التصاق وارتباط وثيق، وأغلب ما يكون ذلك في المعنويات كالبراءة من الكذب أوالإثم أو الدين"(٤).

وهذه الآيات تصورُ انفعالَ الندمِ الذي كان سببه رؤية العذابِ بعد غوايةِ المتبوعين للأتباعِ في الدنيا، وتبرئهم منهم يوم القيامة، فكانت الاستجابةُ لهذا الانفعال متمثلةً في حدوثِ مخاصمة ومجادلة بين الأتباعِ والمتبوعين يوم القيامة، حين تخلى المتبوعون عنهم وألقوا عليهم تبعة ضلالهم.

فاستعمال النَّظم القرآني للفعل ﴿ تَبَرَّأَ ﴾ "يشير إلى المبالغةِ والمحاولةِ والتصميمِ الذي يصطنعُه المتبوعون في التخلّي عن أتباعِهم وإنكارِ أن يكونوا سببَ ضلالهم وأنَّهم هم من سعى للضلال، وكذلك يغشى الغمُّ والحزنُ الأتباعَ فيتمنون لو أنَّ لهم كرةً أخرى إلى الدنيا ليكافئوا المتبوعين بمثل فعلتِهم فيبالغوا في البراءةِ منهم ويكلّفوا

(١) الشافية في علم التصريف، لابن الحاجب ٢١/١.
(٢) دلالة صيغة تفعل في القران، ص٤٦٠.
(٣) التحرير والتنوير ٦٧/٢.
(٤) دلالة صيغة تفعل في القران، ص٤٦٨.

أنفسَهم أشدّ التكلفِ ويلزموها أعظمَ إلزامٍ في مزايلةِ المتبوعين ومفارقتِهم في ضلالهم"[١].

وتكرَّرَ الفعلُ في صيغةِ المضارع ﴿فَنَتَبَرَّأَ﴾ ليبينَ حالَ الكافرين وما هم عليه من ندم وحسرة، حيث تمنوا الرجوعَ إلى الدنيا وطلبوا البراءةَ بجدٍّ واجتهادٍ فيتبرؤوا من متبوعيهم في الآخرة إذا حشروا جميعا.

٢. الفعل ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾ جاء أيضا على صيغة (تفعَّل) وهو يدلُّ على التباعدِ بعد اتصالٍ، "أي تكلَّفت وتعمدت القطعَ، وهو بين المتصل، .. ومعناه أنه قطع بقوة عظيمةٍ، ويجوز أن تكون صيغةُ التفعُّلِ إشارةً إلى تكرُّرِ القطع في مهلةٍ، بأن يظهر لهم انقطاعَ الأسباب شيئاً فشيئاً زيادة في إيهانهم وإيلامهم"[٢]، وسياقُ الآيةِ في زوالِ وانقطاعِ كلّ الأسبابِ على اختلافها من منزلةٍ أو قرابةٍ أو مودةٍ أو حلف أو عهد على ما كانوا يتمتعون بها في الدنيا، وفيه معنى التدرُّجِ لاسيما أنَّ التقطعَ ليس ماديًّا وإنَّما معنويًّا، وهذا اللفظ يصورُ خيبةَ الأملِ التي لحقت بهم عند رؤية العذاب؛ فهم كمن يرتقي إلى النخلةِ ليجتني ثمارَها بعد أن تعبَ في الوصولِ إليها فتَقَطَّعَ به السببُ الذي يرتقي به، فَهَلَك.

- دلالة الأفعال، ويتضح في هذه الآية استخدام:

– صيغة الماضي للفعل ﴿تَبَرَّأَ﴾ في جملتين: "إذ تبرأ الذين اتبعوا" و"نتبرأ منهم كما تبرأوا منا"، وفي التعبير بالفعل الماضي مع أن هذا الأمر سيقع في المستقبل لأنه متحقق الوقوع، فيُعبر بالماضي عن المستقبل إيذانًا وإشعارًا

(١) دلالة صيغة تفعل في القران، ص٤٦٨

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٠٩/٢ وما بعدها

بتحقق وقوعه وحصوله [١] وتكرار الجذر اللغوي "تبرأ" في الآية للتأكيد على شدةِ الندم والإعراضِ عن المُتَّبِعين، وقطع ِالعلاقة بين المجموعتين.

- استعمال صيغة الماضي في الفعل ﴿ وَتَقَطَّعَتْ ﴾ يصف سبب حدوث الندم بصورة دقيقة ويصور رد الفعل على الانفعال كسلوك ناتج عن شدة الندم بعد أن تقطعت بهم الأسباب، وهذا يشير إلى قطع العلاقات والروابط الاجتماعية بينهم.
- صيغة المضارع في الفعل ﴿ يُرِيهِمُ ﴾ ، حيث استعمل النظمُ القرآنيُّ الفعلَ المضارع دون الماضي، لأنَّ المضارعَ يفيد "التجدد والحدوث"[٢]، لاستحضارِ الصورة حيث يرى هؤلاء الأتباع نتيجةَ أعمالهم، ويظهر استياء هؤلاء الأشخاص من اتباعهم للكفارِ والتخلِّي عن الإيمان الحقيقي، وندمهم على ذلك، كما يؤكدُ استمراريةَ عقابهم، ويعمل على إبرازِ حالة الحسرة والتوبيخ التي ستصيبهم.
- دلالة اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ حيث استعمل النظم القرآني صيغة اسم الفاعل ﴿ بِخَٰرِجِينَ ﴾ بدلا من الفعل (يخرجون) وذلك لدلالة اسم الفاعل هنا على الثبوت والدوام فدلت على ثبوتهم واستقرارهم في النار، فعذابهم فيها دائم وشقاؤهم أبدي، وعلى الرغم من أن اسم الفاعل في الأصل يدل على الحدوث [٣] إلا أنه قد يعطي دلالة الثبوت، يقول السامرائي:" إنما يقع اسم الفاعل وسطًا بين الفعل والصفة المشبهة؛ فالفعل يدل على التجدد والحدوث، أما اسم الفاعل فهو أدوم وأثبت من الفعل، ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة"[٤]

---

(١) تفسير الطبري ٣/٢٩٣.

(٢) حاشية الصبان ٢/٢٩٣.

(٣) شرح شذور الذهب ٣٦٠.

(٤) معنى الأبنية في العربية، ص ٤١.

رابعا: الدلالة التركيبية :

- دلالة استعمال (إذ):

"إِذْ ظَرْفٌ وَقَعَ بَدَلَ اشْتِمَالٍ مِنْ ظَرْفِ ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ أَيْ لَوْ تَرَاهُمْ فِي هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ حَالَ رُؤْيَتِهِمُ الْعَذَابَ وَهِيَ حَالَةٌ فَظِيعَةٌ وَتَشْتَمِلُ عَلَى حَالِ اتِّخَاذ لَهُم وتَبَرُّىء بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ وَهِيَ حَالَةٌ شَنِيعَةٌ وَهُمَا حَاصِلانِ فِي زَمَنٍ وَاحِدٍ" (١)

فاستعمال الظرف ﴿إِذْ﴾ يصور حالَ هؤلاءِ الأتباعِ حين يرونَ العذابَ بعد أن تبرَّأَ منهم القادةُ وتنصلوا من وعدِهم لهم بالنفعِ في الآخرة.

- دلالة الحروف:

١. دلالة الواو في قوله تعالى: ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ لِلْحَالِ، أي يتبرؤون فِي حَالِ رُؤْيَتِهِمُ الْعَذَابَ، لأَنَّ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ يَزْدَادُ الْهَوْلُ وَالْخَوْفُ (٢) ففي التعبير بها تصوير للمشهدِ الذي يحملُ إثارةً نفسيَّةً حالَ رؤيتهم العذاب، فتجعل القارئَ يتصوَّرُ حالةَ الهولِ والفزعِ التي وجدوها في هذا الموقف.

٢. دلالة الباء في ﴿بِهِمُ﴾ للملابسة أي تقطَّعت الأسبابُ ملتبسةً بهم فهلكوا، وبالنظر إلى الفعل (تقطَّع) في الآية الكريمة، والذي جاء متعديًا بالباء نجده يضفي على السياقِ معنى الملابسة، والتي لا يمكن أن يؤديها تعدية الفعل (تقطَّع) بنفسه، و"لو قيل قطَّعتهم الأسبابُ لَدلَّ على بقاءِ هذه الأسباب قويَّةً وأنَّ المتبوعين لم يلحقْ بهم سوءٌ، وأنَّ التابعين وحدَهم هم الذين نزل بهم العذابُ، وهذا غير ما قصد إليه النظم من أنَّهم حين اتخذوا من دون الله أندادًا تعلَّقوا بحبالٍ واهيةٍ، وأسبابٍ ضعيفة، لم تلبث أن تقَطَّعت بأيديهم حين حاولوا

(١) التحرير والتنوير ٢/٩٦.

(٢) تفسير الرازي ٤/١٧٩ وما بعدها .

الاستمساك بها، ظانّين أنَّها تغني عنهم من الله شيئًا، فإذا التابع والمتبوع في نار جهنم، وإذا القوة لله جميعًا"[١].

٣. دلالة حرف الجر (على) في قوله تعالى: ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾: والتي تأتي لمعانٍ منها الاستعلاء، وقد استعملها النظمُ القرآنيُّ في هذه الآية لتدلَّ على الاستعلاءِ واستيلاءِ الحسرة عليهم، والإشارة "إلى غلبتهم وشدة هوانهم"[٢]، وهذا ما أكَّدَه الضميرُ (هم) فهذه حسرةٌ لا يستحقُّها غيرُهم بسببِ ما رأوه من العذابِ بعد انقطاعِ الأسباب، وتبرئ قادتهم منهم.

- دلالة الجمل:

١. التعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ .

الجملُ الاسميةُ تضفي على المعنى ثبوتًا واستقرارًا، فعبَّر هنا بالجملةِ الاسميةِ ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ولم يُعبِّر بالفعلِ، فلم يقلْ: وما يُخرجون من النار؛ لأنَّ الجملةَ الاسميةَ تدل على الثبوت، فهم "خالدون فيها على طول الآباد ومر الأحقاب.. وفيه إشعار بقصدهم الفرار منها والخروج .. فأنبأ تعالى أن وجهتهم للخروج لا تنفعهم"[٣].

فهي تفيدُ أن بقاءَهم في النَّارِ ثابتٌ باقٍ أبديّ سرمديّ، فذلك تقنيطٌ لهم من الرجوعِ إلى الحياةِ الدنيا، أو الخروجِ، فهذا الحكمُ لن يتبدلَ، ولن يتحولَ، ولن يتغيرَ، فهم خالدون فيها أبدًا، فليست مدة معينة يرجو الإنسان الخروج بعدها، ولو طالت، ولكنَّه بقاءٌ بلا انتهاء، وبلا أمد، لا يُحد بالزمن الطويل الكثيرِ الذي يمكن أن يصلَ إليه مداركُ البشر في الإحصاء والعدِّ، بل هو شيء لا انتهاء له[٤].

(١) من أسرار حروف الجر في القرآن ١٧٧.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣١١/٢.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣١٣/٢.
(٤) تفسير الطبري ٢٩٣/٣.

وقد أكَّد هذا المعنى تقديم الضمير (هم)، لأنَّ" تقديمَ المحدَّث عنه يقتضي تأكيد الخبر، وتحقيقه له.... فإذا تأملنا، وجدنا هذا الضرب من الكلام يجيء فيما سبق فيه إنكار من منكر... أو يجيء فيما اعترض فيه شك.... أو في تكذيب مدع"(١).

٢. دلالة الجملة الشرطية ﴿لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ استعمال "لو" يفيد التمني(٢)، وتأتي بها حينما يكون المتمنى عزيزا صعب الوقوع بعيد المنال"(٣).

وهو مناسب للانفعال الحاصل في هذا الموقف؛ فهم يعربون عن ندمهم ورغبتهم في تغيير الأمور لو كان بإمكانهم ذلك، وهو انفعال بالقول دون الحركة حيث صورت هذه العبارة شدة ندمهم عندما يصيحون مستغيثين ولا يجدون مفرا فحملت معها كل معاني الندم.

٣. دلالة النفي في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ يوضحُ أنَّهم لن ينجوا من عذابِ النار، و"فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى خُلُودِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ، وَظَاهِرُ هَذَا التَّرْكِيبِ يُفِيدُ الاخْتِصَاصَ، وَجَعَلَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ لِلتَّقْوِيَةِ"(٤)، ويكون الكلام بهذا التركيب مع من هو أشدُّ إنكارًا للخلود والمكوث في النار(٥)، وفيها تحذير من تبعية الآخرين دون التمحيص والتفكير، فهؤلاء الأتباع لم يستعملوا قوتهم العقلية التي منحها الله لهم فساروا وراء القادة واتبعوهم في الدنيا فيقطع الله أملهم ويثبت خلودهم في النار .

---

(١) دلائل الإعجاز، ص١٣٣ وما بعدها .

(٢) مغني اللبيب، ص٣٥١.

(٣) أساليب البيان، فضل حسن عباس، ص٦٥.

(٤) فتح القدير ١٩٢/١، ويرى الزمخشري أن فيه دلالة على قوّة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص، ينظر: تفسير الزمخشري ٢١٢/١.

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز، ص١٣٨ .

المبحث الثاني

الموضع الثاني

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (سورة الشعراء: ٩٦-١٠٢).

المعنى العام للآيات الكريمة:

تتحدث الآيات الكريمة عن جنود إبليس الغاوين، الذين يتوجهون بالخطابِ لأصنامِهم وأوثانهم التي عبدوها، ويعترفون بأنَّهم كانوا في ضلالٍ مبينٍ، حين ساوَوا بينهم وبين ربِّ العالمين في العبادة والمحبة والخوف والرجاء، ودعَوْهم كما دعوا الله ﷻ، فتبيَّنَ لهم ضلالُهم وأقرُّوا بعدلِ الله في عقوبتِهم، وأنَّها في محلِّها، وقد أضلَّهم المجرمُون عن طريقِ الهدى والرشاد، ودعّوْهم إلى طريقِ الغيِّ والفسقِ، وما لهم يوم القيامة من شفعاءَ يشفعون لهم لينقذوهم من العذاب، ولا صديقٍ قريبٍ ينفعُهم بأيِّ نفعٍ، فأيِسوا من كلِّ خيرٍ، وتمنَّوا العودةَ إلى الدنيا ليعملوا صالحًا، فيسْلَموا من العقاب، ويستحقوا الثوابَ[1] .

الدراسة التحليلية:

أولا: الانفعال المصاحب في الآيات :

تأتي هذه الآيات الكريمة لتصفَ حالةَ الكفارِ في الآخرة، وتصفَ الموقفَ الذي أدَّى بهم إلى انفعالِ الندم والتحسر، وتصورَ ردَّ فعلِهم على العذابِ الذي ينتظرهم، فتُظهر الآياتُ حالةَ استيائِهم من الواقع الذي وجدوا أنفسهم فيه، حيث تسيطرُ عليهم مشاعرُ الندمِ بعد أن أدركوا الضلال الذي بدا واضحًا لهم، "ويصوّر القرآن الأتباع والمتبوعين

(١) ينظر: تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٦/٢٣٥.

في مشهد حيّ شاخص، وهم في حالة خصام وجدال وحوار، وكلّ فريق يحمّل الآخر مسئولية كفره وضلاله، ويستمر الحوار والجدل بينهما بلا فائدة"[١]، ويظهر ردُّ فعلهم على التهديد والعذاب باعترافهم بأنهم كانوا في ضلال مبين، وفي هذا الاعتراف تجسيد لحالة الندم عندما يسيطر عليهم اليأس ويشعرون بالعزلة والضياع أمام العذاب المنتظر، وهنا تظهر حاجتُهم إلى من يخلصهم من العذاب، والأصل في الحاجة "أنها حالة من النقص والعوز والافتقار تقترن بنوع من التوتر والضيق، لا يلبث أن يزولَ متى قضيت الحاجة وزال النقص، سواء كان هذا النقص ماديًّا أو معنويا، داخليا أو خارجيًّا" [٢]، فيبحثون عن شفيعٍ يشفع لهم، أو صديقٍ ينجيهم من العذاب، مما يعكس حالة عصبية من التوتر الذي جعلهم يطمحون إلى التغيير، فيتمنوا الرجوع إلى الدنيا ليتحولوا إلى حالة الإيمان ويصححوا أوضاعهم.

ثانيا: الدلالة الصوتية في الآيات:

عبَّرت الآياتُ عن الحالة النفسية التي كان عليها الكافرون، من الشعور باليأس والعزلة والندمِ على ضلالهم، ويتجلى البيانُ القرآني حين يصورُ حالَهم بأقوى الألفاظ بدايةً من الفعل ﴿ يَخْتَصِمُونَ ﴾، والخصومة: "الجَدَل، .. وَفِي الصّحاح أنّ الخُصومَة الْاسمُ من المُخاصَمة، وَقَالَ الحرالِيّ: الخِصامُ: القَولُ الَّذِي يُسمِعُ المُصِيخ وَيُولِجُ فِي صِماخِه مَا يَكُفُّه عَن زَعْمِه ودَعْواه"[٣]، حيث يختصم أهلُ الضلالِ مع من أضلُّوهم، ويُلْقِي كلٌّ منهم بالتبعةِ واللومِ على الآخر، ويُصوّرُ هذا الفعلِ بجرسِه معناه، حتى نكادُ نسمعُ من جرسِ اللفظِ صوتَ خصومتهِم وجدالِهم، حيث اختار النظم القرآني من الأصوات أقواهَا؛

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص٥١.

(٢) أصول علم النفس، ص ٦٧ .

(٣) تاج العروس١٠٢/٣٢(خصم).

بدايةً من صوتِ الخاءِ بما يتَّسِمُ به من قوَّةٍ؛ فهو صوتٌ احتكاكيٌّ يخرجُ من أقصى الحنكِ ليكونَ له تأثيرٌ واضحٌ في إظهارِ قوة الخصومةِ وشدَّتها، ثم صوت التاء الانفجاري الشديد، يعقبُه صوتُ الصاد بصفيرِه العاليّ الذي يحاكي ارتفاعَ أصواتِهم في النار، وهو باستعلائِهِ وإطباقهِ يوحي بأنَّ الخصومةَ قد بلغت ذُروتَها، وهذا النسيجُ الصوتيّ يُعطي للفظِ قوةً نتصورُ معها قوةَ الخصومةِ بين الطرفين، وخُتِمَت بالواو والنونِ اللّذينِ يُعطيان للّفظةِ دويًّا ينسجمُ مع أصواتها.

ثم تُظهرُ الآيات شعورَهم باليأسِ والندم، حيث يعترفون بأنَّهم كانوا في ضلالٍ مبينٍ، حين يدركون الخطأَ الذي ارتكبوه، وقد استعمل النظمُ القرآنيُّ تاءَ القسمِ في كلمة ﴿ تَٱللَّهِ ﴾، وهي أقوى أدوات القسم، و"تكون في معنى التعجب"(١)، فهم يقسمون بالله ويعجبونَ من كونهم كانوا منغمسين في الضلالِ الواضحِ الذي لا يحتاج إلى برهان، وعبَّر عن الخطأ بكلمة ﴿ضَلَٰلٍ﴾،وهو "ضد الْهدى والرشاد..، قَالَ أَبو مَنْصُورٍ: والإِضْلالُ فِي كَلامِ الْعَرَبِ ضِدُّ الْهِدَايَةِ والإِرْشاد. يُقَالُ: أَضْلَلْت فُلانًا إِذا وَجَّهْتَه للضَّلال عَنِ الطَّرِيقِ"(٢)، وهذا اللفظ باشتمالِه على صوت الضَّادِ بإطباقِه واستعلائِه واستطالتِه، يُمثِّلُ إطباقَ الضلالِ والانحرافِ عليهم، وتَمَكُّنه منهم، ساعدَ على ذلك صوتُ اللام بانحرافِهِ وجانبيَّتِه وامتدادِ مخرجه؛ ليصورَ انحرافَهم وعدولَهم عن الطريقِ الصحيحِ، وفي تحرُّكِهِ بحركةِ الفتحةِ الطويلةِ بانفتاحِها وامتدادِ النَّفَسِ معها دلالة على امتدادِ هذا الضلال واستمراره، وزادَ هذا المعنى بوصفِ الضلالِ بأنَّه ﴿ مُّبِينٍ ﴾ أي واضحٌ، وذلك "للإشباع في إظهار

(١) المقتضب ٣٢٤/٢.

(٢) لسان العرب ١١/ ٣٩٠ وما بعدها (ضلل).

ندمهم وتحسُّرهم وبيان عِظَمِ خطئهم في رأيهم مع وضوح الحقّ"[١]، و"فِي هَذَا تَسْفِيهٌ مِنْهُمْ لأَنْفُسِهِمْ إِذْ تَمَشَّى عَلَيْهَا هَذَا الضَّلالُ الَّذِي مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَرُوجَ عَلَى ذِي مُسْكَةٍ مِنْ عَقْلٍ"[٢]

ومافي الميم من معنى الضمّ والجمعِ؛ لانضمامِ الشَّفَتين حين النطق بهما يوحي بتمكُّنِ الضلال منهم وإحاطته بهم، كما كان لصوتِ الباء بشدَّتِه وجهرِه دورٌ كبيرٌ في تصويرِ وضوح هذا الضلال وظهوره، فهذه الآيات بما اشتملت عليه من أصواتٍ مجهورة تناسبت مع جهرِهم بهذا الاعتراف، كما تناسبت الأصواتُ الشديدةُ مع حالةِ انغلاقِ عقولهم واستحكامِ ضلالهم.

وبينوا السبب في ضلالهم فقالوا: ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ و"التَّسْوِيَةُ: الْمُعَادَلَةُ وَالْمُمَاثَلَةُ، أَيْ إِذْ نَجْعَلُكُمْ مِثْلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ جَعَلُوهُمْ مِثْلَهُ مَعَ الاعْتِرَافِ بِالإِلَهِيَّةِ وَهُوَ ظَاهِرُ حَالِ إِشْرَاكِهِمْ .. وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مِثْلَهُ فِيمَا تَبَيَّنَ لَهُمْ مِنْ إِلَهِيَّتِهِ يَوْمَئِذٍ إِذْ كَانُوا لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ أَصْلا فِي الدُّنْيَا فَهِيَ تَسْوِيَة بالمآل"[٣].

ثم يفيقُ هؤلاء الضَّالّين ليجدوا أنَّ الأوانَ قد فات، ولا جدوى من إلقاءِ اللَّومِ فيتحولون للبحثِ عن شفيعٍ أو صديقٍ، فلا شفيع يشفع لهم عند الله وينجيهم من عذابه ولا صديق ينفع، و"الشَّفاعةُ: كَلامُ الشَّفِيعِ لِلْمَلِكِ فِي حَاجَةٍ يسأَلُها لِغَيْرِهِ، وشَفَعَ إِليه: فِي مَعْنَى طَلَبَ إِليه. والشَّافِعُ: الطَّالِبُ لِغَيْرِهِ يَتَشَفَّعُ بِهِ إِلى الْمَطْلُوبِ. يُقَالُ: تَشَفَّعْتُ بِفُلانٍ إِلى فُلانٍ فَشَفَّعَني فِيهِ، وَاسْمُ الطَّالِبِ شَفِيعٌ"[٤] وهذا اللفظ

(١) تفسير أبي السعود٦/٢٥٢ .
(٢) التحرير والتنوير١٩/١٥٣ .
(٣) التحرير والتنوير١٩/١٥٤.
(٤) لسان العرب ٨/ ٨٤.

باشتماله على صوت الشين الانتشاري المتحرك بحركة الفتح الطويلة يدلُّ باستطالتِه على تمنيهم امتداد الشفاعةِ حتى تشملَ هؤلاء الضَّالين، ثم الفاء بهمسه ورخاوتِه يصوّرُ حالةَ ضعفهم، ثم يأتي صوتُ العينِ بجهرِه ونصاعتِه ليتناسبَ مع الدَّورِ الذي يقومُ به الشَّفِيعُ.

ثم بحثوا عن صديق حميم ينفعهم يوم القيامة، وبالنظرِ إلى النسيجِ الصوتيّ لكلمةِ ﴿ صَدِيقٍ ﴾ والتي اشتملت على صوتِ الصَّاد الصفيري القويّ الذي يلفتُ الانتباهَ إلى حاجتهم لهذا الصديق، وهو بإطباقه يوحي بحاجتهم إلى قويٍّ يحيطُ بهم لحمايتهم، ثم صوت القاف، وهو صوتٌ مجهورٌ شديدٌ مستعل، وكلها صفات قوة توحي بقوةِ هذا الصديق الذي يرجون حمايته، وهذا الصديق لا يكفي أن يكون قويًّا فقط بل أرادوه حميمًا، و"الْحَمِيمُ: مَأْخُوذٌ مِنْ حَامَّةِ الرَّجُلِ، أَيْ: أَقْرِبَائِهِ، وَيُقَالُ: حَمَّ الشَّيْءُ وَأَحَمَّ: إِذَا قَرُبَ مِنْهُ....وسُمِّيَ الْقَرِيبُ حَمِيمًا لأَنَّهُ يَحْمَى لِغَضَبِ صَاحِبِهِ، فَجَعَلَهُ مَأْخُوذًا مِنَ الْحَمِيَّةِ"(١)، " والحَمِيمُ..القَرِيبُ الَّذِي تَوَدُّه وَيَوَدُّك، قَالَه اللَّيث. وَفِي الصّحاح: حَمِيمُك: قَرِيبُك الَّذِي تهتَمُّ لأَمره، وَقَالَ غَيره: هُوَ القَرِيب المُشْفِق الَّذِي يحتَدّ حِمايةً لِذَوِيه"(٢) وتكونت أصواته من صوت الحاء وهو صوتٌ ضعيفٌ يتسمُ بالرِّقَّةِ والسعةِ والانبساطِ، ويوحي بتكون مخرجه الحلقيّ من أنسجةٍ رقيقةٍ ومتناهيةِ الحساسية بمقدار ضعفهم، وهذا اللفظ عند النطق به ترتسمُ ملامحُ الضعفِ، وتشعرُ معها بهوانِ هؤلاء الضَّالين وضعفِهم، كما أنَّ الميمَ المحركة بالكسرةِ الطويلةِ تعكسُ بانفراجِ الشفتين معها مدى ضعفهم.

ثم ضاقت بهم السبلُ بعد أن استحالَ وجودُ الشفيعِ والصديقِ فتظهرُ حالةٌ من التوترِ والقلقِ ليصلوا إلى ردِّ فعلٍ لغويٍّ، ويتمنوا العودة إلى الدنيا لإصلاح ما فات

(١) فتح القدير ٤/١٢٤.

(٢) تاج العروس٣٢/١٠.

بقولهم: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي رجعة إلى الدنيا وإعادة إليها ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لنسلم من العقاب ونستحق الثواب هيهات هيهات قد حيل بينهم وبين ما يشتهون وقد غلقت منهم الرهون"(١).

ثالثا: الدلالة الصرفية:

- **دلالة الصيغ:**

١. الفعل ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ من (افتعل) الذي يدل على المشاركة وتأتي بمعنى تفاعَلَ، وهذا الفعل بهذه الصيغة يشير إلى حالة الاختصام والمجادلة بين الكفار من بني آدم والشياطين بعد أن ساووا بينهم وبين رب العالمين في الطاعة.

٢. الفعل ﴿نُسَوِّيكُم﴾ من (فعَّل) الثلاثي المزيد بحرف الذي يأتي لدلالات كثيرة منها "جعل الشيء بمعنى ما صيغ منه كعَدَّلته وأمَّرْته إذا جعلته عدلا وأميرًا"(٢)، قال سيبويه:" وقد جاء فَعَّلْتُه إذا أردت أن تجعله مُفْعِلاً، وذلك: فَطَّرتُه فأفطَرَ، وبشَّرتُه فأبشَرَ، وهذا النحو قليل"(٣).

ويدلُّ الفعلُ في هذا السياق على "المعادلةِ والمماثلةِ، أَيْ إِذْ نَجْعَلُكُمْ مِثْلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٤)، والتسوية في اللغة تدل "عَلَى اسْتِقَامَةٍ وَاعْتِدَالٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ. يُقَالُ هَذَا لا يُسَاوِي كَذَا، أَيْ لا يُعَادِلُهُ. وَفُلانٌ وَفُلانٌ عَلَى سَوِيَّةٍ مِنْ هَذَا الأَمْرِ، أَيْ سَوَاءٍ"(٥)، وقال صاحب العين: "سوَيت الشّيء فاستوى... وساويت هذا بهذا، أي: رفعته حتّى بلغ قدرَهُ ومَبلَغَه"(٦)، والمجيء بالفعل على هذه الصيغة يدل

(١) تفسير السعدي، ص٥٩٣.
(٢) شرح التسهيل لابن مالك٣/٤٥١.
(٣) الكتاب، ٤/٥٨.
(٤) التحرير والتنوير ١٩/١٥٢ .
(٥) مقاييس اللغة (س و ي)٣/١١٢.
(٦) العين ٧/٣٢٥ وما بعدها.

على شدة ندمهم حين بالغوا في تسوية جنود إبليس برب العالمين، حيث قالوا وقد "عَادُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْمَلامَةِ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ أَيْ نَجْعَلُ أَمْرَكُمْ مُطَاعًا كَمَا يُطَاعُ أَمْرُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَعَبَدْنَاكُمْ مَعَ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (١).

٣. الفعل ﴿أَضَلَّنَآ﴾ على وزن (أفعل) الثلاثي المزيد بحرف والذي جاءت همزته للتعدية(٢)، وفي مجيء الفعل بهذه الصيغة إلقاء لِلَّومِ على هؤلاء المجرمين، فقد كانوا سببًا في ضلالهم.

- **<u>دلالة الأفعال:</u>**

وتتضح من خلال استعمال :

١. المضارع في ﴿نُسَوِّيكُم﴾ "لاستحضارِ الصُّورَةِ الماضية أي تالله لقد كُنَّا في غاية الضَّلالِ الفاحش وقت تسويتنا إيَّاكُم أو لأنا سويناكم أيُّها الأصنامُ في استحقاقِ العبادة بربِّ العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزُهم"(٣) وفي هذا رسم للمشهد الذي أدى بهم للانفعال النفسي حال تحسرهم وندمهم حيث يتعجبون من تسويتهم للأصنام برب العالمين في الدعاء والعبادة، ويوجهون الخطاب الى الأصنام التي لا تعقل للمبالغة في توبيخ أنفسهم(٤)

٢. الفعل الماضي ﴿أَضَلَّنَآ﴾ والذي يؤكد في هذا السياق على تحقق ضلالهم واعترافهم به وثبوته في حقهم، وفي مجيء الفعل بهذه الصيغة تنفير من هذه الصفة وهي الإضلال.

---

(١) تفسير ابن كثير ١٥٠/٦.

(٢) ينظر: الشافية لابن الحاجب٢١/٢.

(٣) تفسير الألوسي ١٠٢/١٠.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير١٥٤/١٩.

- دلالة المشتقات :

١. ﴿ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ اسم فاعل مشتق من الفعل (أجرم)، و" الجُرْمُ: التَّعدِّي، والجُرْمُ: الذَّنْبُ، وقد جَرَمَ يَجْرِمُ جَرْماً واجْتَرَمَ وأَجْرَم، فَهُوَ مُجْرِم وجَرِيمٌ"(١) وفي استعمال هذه الصيغة دليل على كثرة هذا الفعل منهم، وقد انصرفت دلالة اسم الفاعل من دلالته على الحدث إلى دلالة الثبوت والدوام، كما أشار الجرجاني بقوله: "فإذا قلت زيد منطلق، فقد أثبتت الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث شيئًا فشيئًا بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: زيد طويل وعمرو قصير، فكما لا تقصد هاهنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدّد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط"(٢).

فالإجرام صار صفةً ثابتة فيهم وملازمة لهم، كما أفادت هذه الصيغة المبالغة في وصفهم بهذه الصفة، أي "ما أضلنا إلا كبراؤنا وأهل الجرم والجرأة والمكانة"(٣) وهم" أَئِمَّةَ الْكُفْرِ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا لَهُمُ الشِّرْكَ وَاخْتَلَقُوا لَهُمْ دِينًا"(٤) ولهذا تأثير نفسي عظيم على كل من يسمع وصفه بهذه الصفة وتنفير من إضلال الغير وكل من يدعو إِلَى عِبَادَةِ غير الله.

٢. ﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: جاء التعبير بصيغة اسم الفاعل لتدل على صفة ستكون ملازمة وثابتة لصاحبها، فهم لم يكونوا من المؤمنين قبل ذلك، ولكن لشدة تحسرهم وندمهم تمنوا لو أن لهم كرَّةً ورجوعًا إلى الدنيا فيكونوا من المؤمنين المصدقين الذين تثبت صفة الإيمان لهم وتستقر في قلوبهم، فتلازمهم وتتمكن منهم ولا تفارقهم .

---

(١) لسان العرب ٩١/١٢(جرم).
(٢) دلائل الإعجاز، ص١٧٤.
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٣٦/٤.
(٤) التحرير والتنوير ١٥٤/١٩.

٣. جاء التعبير القرآني بالصفة المشبهة (صديق، حميم) والتي تدل على الثبوت في قوله تعالى: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ ، وكلاهما (فعيل) بمعنى (مفاعل)، فالصديق هو الذي يصادقك الود، والحميم، أي: محام لك، أي: مقارب في النسب، وحمَّ وأحمَّ: إذا قرب [١]، وَالْحَمِيمُ: الْقَرِيبُ، فَعِيلٌ مِنْ حَمَّ (بِفَتْحِ الْحَاءِ) إِذَا دَنَا وَقَرُبَ فَهُوَ أَخَصُّ مِنَ الصَّدِيقِ".

وفي ورودها بهذه الصيغة التي "تفيد الشدة والمبالغة في الوصف"[٢] تأكيد على المعنى المراد، وعن ابن يعيش: "فهذه المصادر كلها مما وصف بها للمبالغة كأنَّهم جعلوا الموصوَف ذلك المعنى لكثرةِ حصوله منه وقالوا: رجلٌ عدلٌ ورضى وفضلٌ، كأنَّه لكثرةِ عدلِهِ، والرضى عنه وفضله جعلوه نفسَ العدل والرضى والفضل"[٣] وقدَّم الشافعين على الصديق الحميم "للضرورةِ والاحتياجِ أو للكثرةِ، وإذا كان الصّديقُ الحميمُ لا ينفع، فما بالك بالصّديق العادي" [٤]

ثالثا: الدلالة التركيبية:

١. دلالة الإفراد والجمع:

جاءت كلمة ﴿شَٰفِعِينَ﴾ بصيغة الجمع، وتدل على كثرة الشافعين من الإنس والأنبياء حتى الملائكة، ولكن لا يوجد من يشفع لهم برغم كثرة الشّفعاء "لأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِالشَّافِعِينَ الآلِهَةَ الْبَاطِلَةَ وَكَانُوا يَعْهَدُونَهُمْ عَدِيدِينَ فَجَرَى عَلَى كَلامِهِمْ مَا هُوَ مُرْتَسِمٌ فِي تَصَوُّرِهِمْ"[٥] .

---

(١) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد٥/٥٩ .

(٢) معاني الأبنية في العربية فاضل السامرائي ٥٤.

(٣) شرح المفصل للزمخشري ٢/٢٣٧.

(٤) تفسير القرآن الثري الجامع ١٩/١٥٤.

(٥) التحرير والتنوير ١٩/١٥٥.

أما كلمة ﴿ صَدِيقٍ ﴾ فقد جاءت بالإفراد، وهذه الكلمة" قد تأتي في اللغة للمفرد والمثنى والجمع، وتدل في هذه الآيات على قلة الأصدقاء أو الصديق، وأصعب من ذلك العثور على الصديق الحميم الذي يستحق أن يضحي من أجلنا أو يشفع لنا أو يدفع عنا العذاب" (١).

كما جاءت كلمة ﴿حَمِيمٍ﴾ بصيغة الإفراد: وتعني:"القريب. أي: صديق ودود من الّذين كنا نظنهم أصدقاء حميمين، جاء بصيغة المفرد لقلة العثور على الأصدقاء هناك"(٢).

٢. دلالة التعريف والتنكير:

- التعريف في كلمة ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يدل على كمال الإجرام(٣)، فهؤلاء هم أئمة الكفر الذين قادوا غيرهم إلى الضلال، ففي تعريفها تأكيد ومبالغة في اتصافهم بهذه الصفة .

-التعريف في كلمة ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يُفيد التعظيم، ويُبرز فضل هذه الفئة، فعندما يستحضر أولئك القوم صورة المؤمنين بعد نجاتهم من المصير الذي لحق بالضالين، يتمنّون العودة إلى الدنيا ليكونوا منهم.

- التنكير في ﴿كَرَّةً﴾ للإفراد، وهو يعكس حالة الندم، فهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا بأي شكل حتى ولو كان هذا الرجوع مستحيلا، وقد سيطر عليهم هذا الدافع بعد أن رأوا العذاب، وهو المثير الذي "أحال الدافع من حالة الكمون إلى حالة النشاط ..فالمنبه مؤثر عارض، في حين أن الدافع استعداد يوجد لدى الفرد قبل أن يؤثر المنبه فيه"(٤)

---

(١) تفسير القرآن الثري الجامع ١٥٨/١٩.
(٢) تفسير القرآن الثري الجامع ١٥٨/١٩.
(٣) التحرير والتنوير ١٥٤/١٩.
(٤) أصول علم النفس، ص٦٥.

–التنكير في ﴿ شَٰفِعِينَ-وَلَا صَدِيقٍ- حَمِيمٍ ﴾ يظهر حالة الندم واليأس الذي يعانيه أهل النار في الآخرة وفيه تقليل وتحقير من شأنهم فهم يبحثون عن أي شيء ينجيهم من العذاب .

٣. دلالة الحروف:

– دلالة حرف الجر (في):

▪ قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾:

استعمال حرف الجر (في) الذي يدل على الظرفية يدل على استقرارهم في النار فهم غارقون في النار منشغلون بخصامهم، كما يدل على إحاطة النار بهم، وتمكنها منهم ورسوخهم فيها، وفيه تصوير واضح لحالتهم النفسية وتعبير عن ثورتهم الغاضبة واختصامهم الشديد وهم يرون ما كانوا ينكرونه صار واقعًا أمامهم بعد أن ساووهم برب العالمين وظنوهم سيدافعون عنهم فجاء هذا الحرف ليدل على تمكن النار منهم وإحاطتها لهم إحاطة تامة .

▪ قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾:

يفيد "تَمَكُّنَ الضَّلالِ مِنْهُمْ بِاجْتِلابِ حَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ الْمُسْتَعَارِ لِمَعْنَى الْمُلابَسَةِ لأَنَّ الْمَظْرُوفَ شَدِيدُ الْمُلابَسَةِ لِظَرْفِهِ" [(١)]، ففيه مبالغة في كثرة الضلال وقصد إلى تمكنه منهم وإغراقه في الالتصاق بهم[(٢)].

– دلالة اللام في قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

اللام هنا للتفرقة بين (إن)الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَبَيْنَ (إن) النَّافِيَةِ، "أَيْ: قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّ الشَّأْنَ كَوْنُنَا فِي ضَلالٍ وَاضِحٍ ظَاهِرٍ"[(٣)]، وهي هنا "للتوكيد"[(٤)]، أي"والله ما

(١) التحرير والتنوير ١٣٥/١٩.
(٢) ينظر: من أسرار حروف الجر، ١٢٢.
(٣) فتح القدير ١٢٤/٤
(٤) تفسير القرآن الثري الجامع١٥٤/١٩

كنَا إلا في ضلالٍ مبين حيث سويناكم باللَّهِ – عزوجل – فأعظمناكم وعبدناكم كما يُعْبَدُ الله"[١]، وتدل على التقوية والتثبيت وتستخدم لتمكن المعنى في النفس، فهم قد ظنوا أنهم على حق في اتباع سادتهم، ومساواتهم برب العالمين وها هم الآن يتحققون من كونهم في ضلال واضح، أكدَّه واقع وجودهم في النار وعذابهم فيها، ومن المعلوم أن"الأصل في الكلام لتأدية المعنى المراد أن لا تزيد كلماته عما يؤدي أصل المعنى فإن زادت عما يؤدي أصل المعنى المقصود بالبيان لغرض يقصد لدى البلغاء كان ذلك إطنابا مفيدا"[٢] فهذه الجملة عكست ما في نفوسهم من مشاعر الندم والحسرة.

– دلالة الباء في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

فيه إبراز لحرصهم البالغ على مساواة سادتهم في العبادة والطاعة برب العالين وتعهدهم بمتابعتهم وطاعتهم وهذا هو ما تفيده الباء الدالة على "الإلصاق بالشَّيْء"[٣]، وهو "ضربان: حقيقي نحو: أمسكت الحبل بيدي. قال ابن جني: أي: ألصقتها به. ومجازي، نحو: مررت بزيد. قال الزمخشري: المعنى: التصق مروري بموضع يقرب منه"[٤] وفي المجيء به دلالة على شدة اتصالهم وارتباطهم بقادتهم وتعلق قلوبهم بهم.

– دلالة من الزائدة في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾:

استعمل النظم القرآني من الزائدة "لتفيد التنصيص على العموم، وتسمى الزائدة، لاستغراق الجنس، وهي الداخلة على نكرة لا تختص بالنفي، نحو: ما في الدار من

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج٤/٩٤.
(٢) البلاغة العربية، ١٠٥/٢.
(٣) المقتضب ١٤٢/٤.
(٤) الجني الداني في حروف المعاني، ص ٣٦ وما بعدها.

رجل، فهذه تفيد التنصيص على العموم"[١] ، فهي تفيد في هذا السياق النفي المطلق، لوجود أي نوع من الشفاعة، "وَالْمُرَادُ نَفْيُ جِنْسِ الشَّفِيعِ وَجِنْسِ الصَّدِيقِ لِوُقُوعِ الاسْمَيْنِ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ الْمُؤَكَّدِ بِمِنْ الزَّائِدَةِ"[٢].

وفيه دعوة لإعمال القلب والعقل في الدلالة على المعنى من خلال السياق، فإذا نظرنا إلى السياق وجدناه يتحدث عن الضالّينَ الذين أكَّدُوا على ضلالِهم واعترفوا به بعد أن أطاعوا قادَتَهم، ولم يكتفوا بذلك بل أصرُّوا على مساواةِ قادتِهم بربِّ العالمين في الطاعة، وعندما رأوا العذابَ أقرُّوا بضلالِهم، وبحثوا عن صديقٍ أو شفيعٍ يشفعُ لهم فما وجدوه، وهذا ما قامت به (من) لتدل على أنَّهم بدأوا بالبحثِ عن الشفيعِ، ثمَّ تطورَ بحثُهم إلى الصديقِ أو الحميمِ، وفي هذا تصويرٌ لحالتِهم النفسيَّةِ، وندمِهم الحاصل عن عدمِ وجودِ شفيع لهم، وهنا يظهرُ دافِعُهم إلى الاستغاثةِ وهو "دافعٌ يثيره فشلُ دافعِ المقاتلةِ، وحاجة الفردِ إلى المعونةِ، فيصرخ مستغيثًا، غير أنَّ هذا الدافع يقومُ على عجزِ الإنسانِ وقلةِ حيلته"[٣].

– دلالة التاء في قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِإِنكُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖمُّبِينٍ ﴾ :

يعد "القسمُ نوعًا من أنواعِ التوكيدِ عند العرب، بل هو أجلّها وأعظمها لأنَّه غايةُ ما يبذلُه المتكلمُ من الجهدِ لتقويةِ كلامه وتثبيته في نفسِ سامعه، وليس في المؤكداتِ ما يوازيه أو يقوم مقامه، فهو أقواها على الإطلاق"[٤]، وفي تصديرِ قَسمهم بحرفِ التَّاءِ المُشعرةِ بالتَّعجُّبِ إشباعٌ في إظهارِ ندمهم وتحسُّرهم، وبيان عِظَمِ خطئهم في رأيهم مع وضوحِ الحقِّ، فهم يعجبون من ضلالِهم، إذ ناطوا آمالَهم بحجارةٍ لا تغني عنهم شيئًا باتّ ِبَاعِهم آلهةً من

(١) الجنى الداني في حروف المعاني، ص٣١٦.
(٢) التحرير والتنوير ١٩/١٥٥.
(٣) أصول علم النفس، ص٩٢ .
(٤) التبيان في أيمان القرآن، ص١١.

دون الله، أقسموا بالله إنّهم كانوا ضالين ضلالا بيّنًا؛ وذلك لاتباعِ أسيادهم، وعبادةِ ما لا ينفعُ ولا يضر، بل إنَّ أسيادَهم لا يستطيعون إنقاذَ أنفسهم، فكيف ينقذون أتباعَهم، فهذا هو الضلالُ المبين، المؤدي إلى الهلاكِ والندمِ يوم القيامة، فبعد أن كانوا لا يؤمنون بالبعثِ والحسابِ في الدنيا، أصبحوا الآن يُقسمون على أنَّه الحقُ، وأنَّ ما كانوا عليه هو الباطل.

– دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ :

فيها دلالة على التحسُّرِ والتوجع، حيث:"رَتَّبُوا بِالْفَاءِ انْتِفَاءَ الشَّافِعِينَ عَلَى جُمْلَةِ: وَما أَضَلَّنا إِلا الْمُجْرِمُونَ حَيْثُ أَطْمَعُوهُمْ بِشَفَاعَةِ الأَصْنَامِ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَيَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ [يُونُس: ١٨] فَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنْ لا شَفَاعَةَ لَهَا، وَهَذَا الْخَبَرُ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّحَسُّرِ وَالتَّوَجُّعِ، وَالشَّافِعُ: الَّذِي يَكُونُ وَاسِطَةَ جَلْبِ نَفْعٍ لِغَيْرِهِ أَوْ دَفْعَ ضُرٍّ عَنْهُ" (١).

– استعمال أنَّ في قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ :

والتي تأتي للتوكيد، لتوحي بتحقق الندم والحسرة، فهي تعكس هذه المشاعر التي انتابتهم وتمنوا بعدها الرجوع إلى الدنيا، حين أيقنوا أنّهم هلكوا، وقد تخلى عنهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، فكانت أمنيتهم الوحيدة رجعة إلى الدنيا، ولو لوقت محدود، ليتبرؤوا من معبوديهم، ويؤمنوا بالله.

– استعمال أداة النفي (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ :

والتي "كثيرا ما تكون ردًا على كلام أو ما نزل هذه المنزلة" (٢) وقد ينفي بـ (ما) مع الماضي إذا أريد نفي الحدث بصورته المنقضية التامة"(٣) في قوله وما أضلنا

(١) التحرير والتنوير ١٥٤/١٩ وما بعدها.
(٢) معاني النحو ١٩٤/٤
(٣) معاني النحو ١٩٦/٤

والتي تدل على "انتفاء الحدث بصورته المنقضية"[١] فهم قد أدركوا وقوعهم في الضلال .

٤. دلالة الجمل:

– جملة ﴿ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴾ حالية تصور وضع الكافرين في النار، حيث يشغلهم الاختصام فيما بينهم، وتبرز حالة الصراع الداخلي فهم يتبادلون الاتهامات حين رأوا مصيرهم المؤلم، وهذه الجملة" استئنافٌ وقع جوابا عن سؤالٍ نشأَ من حكايةِ حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حينَ فُعل بهم ما فُعل فقيل قال العَبَدةُ ﴿ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴾ أي قالوا معترفين بخطئهم في انهماكهم في الضَّلالةِ متحسَّرين معيّرين لأنفسهم والحال أنَّهم في الجحيم بصددِ الاختصام مع من معهم من المذكورينَ مخاطبين لمعبودِيهم على أنَّ الله تعالَى يجعلُ الأصنامَ صالحةً للاختصام بأنْ يُعطيها القدرةَ على الفهم والنُّطقِ"[٢].

– جملة ﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ "بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافِهم بصدوره عنهم لكنْ لا على مَعْنى قصرِ الإضلال على المجرمين دون عداهم بل على مَعنى قصر ضلالِهم على كونه بسبب إضلالهم من غير أنْ يستقلُّوا في تحقُّقهِ أو يكون بسبب إضلال الغيرِ كأنَّه قيل وما صدرَ عنَّا ذلك الضَّلالُ الفاحش إلا بسبب إضلالِهم"[٣]، فأهل النار من المجرمين والمشركين والكفار، وأتباع إبليس يقسمون يوم القيامة أن سبب ضلالهم هو اتّباعهم أسيادهم في الحياة الدنيا، فهم اتّبعوا سادتهم وأعرضوا عن الحق، وهؤلاء الأسياد تخلّوا عنهم يوم القيامة، فهم لا

(١) معاني النحو ١٩٧/٤.
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢٥٢/٦.
(٣) تفسير أبي السعود ٢٥٢/٦.

يستطيعون إنقاذ أنفسهم فضلا عن غيرهم؛ لذلك جاء وصفهم بالمجرمين، فقد ضلوا وأضلوا غيرهم، وفي هذا إشارة إلى أنّهم سيحملون أوزارهم وأوزار من اتّبعهم.

وفي التعبير بهذه الجملة نفي لتوهم أن يكون غيرهم قد أضلوهم، يقول الإمام الجرجاني: "ألا تَرى أنَّك لا تَقول: ما أتاني إلا رجلٌ، إلا حيثُ يَتَوهَّمُ السامعُ أنه قد أتتك امرأة، ذاك لأن الخبر ينقض النفي يكون حيث يراد أن يُقْصَر الفعلُ على شيء، ويُنْفى عمَّا عدَاهُ، فإذا قلتَ: ما جاءني إلا زيدٌ، كان المعنى أنكَ قد قَصَرْتَ المجيءَ على زيدٍ، ونفَيْتَه عن كُلِّ مَنْ عَدَاهُ"(١).

– جملة ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ "هَذَا مِنْهُمْ عَلَى طَرِيقِ التَّمَنِّي، الدَّالِّ عَلَى كَمَالِ التَّحَسُّرِ كَأَنَّهُمْ قَالُوا: فَلَيْتَ لَنَا كَرَّةً، أَيْ: رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا، وَجَوَابُ التَّمَنِّي: فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ: نَصِيرَ مِنْ جُمْلَتِهِمْ"(٢)، و(لَوْ) في هذه الجملة "أَصْلُهَا (لَوْ) الشَّرْطِيَّةُ لَكِنَّهَا تُنُوسِيَ مِنْهَا مَعْنَى الشَّرْطِ وَأَصْلُهَا: لَوْ أُرْجِعْنَا إِلَى الدُّنْيَا لآمَنَّا"(٣).

وفي التعبير بهذه الجملة بيان لتأثير انفعال الندم الذي أصابهم فيتمنون لو يرجعون إلى الدنيا ليؤمنوا بالله فيكونوا بإيمانهم به من المؤمنين، وهذا أمر مستحيل، فلو "تزيد المتمني بُعدًا وتَمَنُّعًا في بابِ الاستحالةِ، والسببُ في ذلك أنَّها بحسبِ معناها الموضوعة له حرفٌ يفيدُ امتناعَ الجوابِ لامتناعِ الشَّرطِ، ومقتضى هذا المعنى أنَّ المتمنَّى بها ليس أمرًا واحدًا لا يُرجى حصولُه كما في ليت، بل هو أمران يستحيلُ أحدهُما لاستحالةِ الآخر"(٤).

---

(١) دلائل الإعجاز، ص١٤٣ وما بعدها.

(٢) فتح القدير ١٢٤/٤.

(٣) التحرير والتنوير ١٥٥/١٩ .

(٤) علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم، ص ٩٥.

٥.دلالة الضمائر:

استعمل النظم القرآني ضَمِيرُ الْخِطَابِ فِي ﴿ نُسَوِّيكُم ﴾، وهو "مُوَجَّهٌ إِلَى الأَصْنَامِ، وَهُوَ مِنْ تَوْجِيهِ الْمُتَنَدِّمِ الْخِطَابَ إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي لا يَعْقِلُ وَكَانَ سَبَبًا فِي الأَمْرِ الَّذِي جَرَّ إِلَيْهِ النَّدَامَةَ بِتَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ مَنْ يَعْقِلُ وَيَسْمَعُ، وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ الْمُبَالَغَةُ فِي تَوْبِيخِ نَفْسِهِ [١].

(١) التحرير والتنوير ١٥٤/١٩

المبحث الثالث

الموضع الثالث

قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الزمر: ٥٦ – ٥٨).

المعنى العام للآيات الكريمة:

أمر اللهُ تعالى عبادَه قبلَ هذه الآيات بعدةِ أوامر، واستحثَّهم إلى المسارعةِ إلى التوبةِ والإنابةِ، والرجوعِ إلى طاعة الله ﷻ والخضوعِ له بالطاعةِ، والإقرارِ بالدينِ الحنفيّ، واتباعِ ما أمَرَ الله به، واجتنابِ ما نهى عنه، من قبلِ أن يأتِيَهم العذابُ ثم لا يُنصرون، ثمَّ يُعلِّلُ هذه الأوامر، ويخبرُ سبحانه ما العباد قائلوه قبلَ أن يقولوه، وعملَهم قبل أن يعملوه، حتى لا تندمَ النفسُ على ما ضيَّعت من العملِ بأوامرِ الله، وتقصيرِها في طاعته، واستهزائِها بأمرِ الله وكتابِه ورسلِه والمؤمنين به، فلم يكفِها أن ضيَّعَت طاعةَ الله ﷻ حتى جعلَ يسخر بأهلِ طاعةِ الله، وتتمنى أخرى لو أنَّ اللهَ هداها للحقّ ووفَّقَها للرشادِ فكانت ممن اتَّقَاه بطاعتِه واتباعِ رضاه، أو تتمنَّى أخرى حينَ رؤية العذاب الرجعةَ إلى الدنيا فتكونَ من المحسنين الذين أحسنوا في طاعةِ ربّهم والعملِ بما أمَرَتْهم به الرسلُ[1].

الدراسة التحليلية:

أولا: الانفعال النفسي المصاحب للآيات :

تجسِّدُ الآياتُ مشهدًا يلفتُ الأنظارَ لأهميةِ الاستعدادِ للآخرةِ بالتوبةِ والأعمالِ الصالحةِ قبلَ الموتِ، فتصور حالَ النفس يومَ القيامةِ وندمَها على ما قصَّرت في

(١) تفسير الطبري ٣١٨/٢١، ابن كثير ١١٠/٧.

اتجاهِ طاعةِ الله، حيث يَتَحَسَّرُ الْمُجْرِمُ الْمُفَرِّطُ فِي التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ، والشعورُ بالحسرةِ هنا يمثلُ دافعًا قويًّا يحفِّزُ الإنسانَ على مراجعةِ ذاته وأفعالِه، ثم يقرُّ ويعترفُ بذنبِ السخريةِ من الحقِّ، مما يؤكدُ على شدَّةِ تحسرِه وندمِه حين يدركُ خطأَه، وَيَوَدُّ لَوْ كَانَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ ﷻ، وتمنَّى بعد رؤيةِ حال المتقين لو أنَّ اللهَ هداه في الدنيا فينتسب إليهم ويدرك ما فاتَه، ثم يتمنَّى لو أنَّ له عودةً إلى الحياةِ ليصلحَ أعمالَه ويكونَ من المحسنين، وهذا التمنِّي محاولة منه لمواجهةِ الواقعِ الأليمِ وتخفيفِ الشعورِ بالحسرةِ، كما يُعَبِّرُ عن تمامِ يأسه بعد إدراكِه استحالة العودة، وأنَّ مثلَ هذه الأمنيات غير قابلةٍ للتحققِ، ففي الآيات تحذيرٌ من تأخيرِ التوبةِ والانغماسِ في المعاصي حتى يأتيَ الموتُ ويدرك ضياعَ فرصته في الطاعةِ والتوبةِ فيشعر بالندمِ والحسرةِ، ويتمنى لو يعود إلى الدنيا ليصلحَ ما فات ويكونَ من المحسنين (١).

فالآياتُ تظهر انفعالَ الندمِ والحسرةِ الذي يلاحقهم، ويترتب على ذلك ردُّ فعلٍ لغويٍّ بالقولِ، وَهُوَ شَأْنُ الَّذِي ضَاقَ صَبْرُهُ عَنْ إِخْفَاءِ نَدَامَتِهِ فِي نَفسه فيصرح بِمَا حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ فَتَكُونُ هَذِهِ النَّدَامَةُ الْمُصَرَّحُ بِهَا زَائِدَةً عَلَى الَّتِي أَسَرَّهَا (٢).

وحدث هذا الانفعالُ عندما أدركت النفسُ تقصيرَها وتفريطَها في طاعةِ الله، فشعرت بالأسفِ العميقِ؛ لأنها كانت من الساخرين المستهزئين، وقد أتى هذا الندمُ متأخرًا بعد فواتِ الأوانِ مما يزيدُ من شدةِ الانفعالِ، فبدأوا في توبيخِ أنفسِهم على ما فعلوا، مع اعترافِهم بسخريتهم واستهزائهم واستهانتهم، حين أدركوا أنَّه كان بإمكانِهم أن يتبعوا طريقَ الهدايةِ ولكنَّهم لم يفعلوا، فهذا الشعور بالعجزِ واليأسِ

(١) تفسير الألوسي روح المعاني ٢٧١/١٢ .

(٢) التحرير والتنوير ٤٥/٢٤.

والندمِ ناتجٌ عن إدراكِهم أنَّه لا مجال للتراجعِ أو الإصلاحِ، وأنَّ فرصةَ توبتهم قد ضاعت.

ثانيا: الدلالة الصوتية في الآيات:

تؤدي الأصواتُ في هذه الآيات دورًا كبيرًا في تعزيزِ المعنى، والشعورِ بالحسرةِ والندمِ، وجاءت متناسقةً مع المشاعرِ التي يشعر بها هؤلاء العصاة، وقد استعملَ النَّظمُ القرآنيُّ ما يدل عى هذا المعنى من خلالِ اختيارِ الألفاظ التي تجسدُ حالةَ الندم، بدايةً من التعبيرِ بقولهم: ﴿بَحَسۡرَتَىٰ﴾، وهي من "كَشْفِ الشَّيْءِ، يُقَالُ حَسَرْتُ عَنِ الذِّرَاعِ، أَيْ كَشَفْتَهُ... والْحَسْرَةُ: التَّلَهُّفُ عَلَى الشَّيْءِ الْفَائِتِ. وَيُقَالُ حَسِرْتُ عَلَيْهِ حَسَرًا وَحَسْرَةً، وَذَلِكَ انْكِشَافُ أَمْرِهِ فِي جَزَعِهِ وَقِلَّةِ صَبْرِهِ"(١).

و"الحَسْرَةُ أَشَدُّ النَّدَم حَتَّى يبْقى النَادِمُ كالحَسِيرِ من الدوَابِّ الَّذِي لا مَنْفَعَة فِيهِ.... وَيُقَال حَسِر فلان يحسَر حَسْرَةً وحَسَراً إذا اشتدت ندامتُه على أمرٍ فَاتَهُ"(٢).

وهذه الكلمة تشتمل على صوت السين الذي يتكون" باندفاع الهواء مارًّا بالحنجرة فلا يحركُ الوترين الصوتيين"(٣) والذي أشاع جوًا من الصفير في الآية وذلك لأن السين تستدعي عند النطق بها "تحفيزًا كبيرا للهواء؛ فتيارُ الهواءِ يكونُ شديدًا عند نطقِها" ممَّا يلفتُ الانتباهَ ليُجَسِّدَ بصفيرِه وتكونِّه مع الحاءِ وهو صوتٌ حلقي مهموس يعبر ببعدِ مخرجه عن أنينٍ وحسرةٍ داخلية عميقة، ويعكس عمقَ الشعورِ بالحسرةِ والندمِ في مقطعٍ مغلقٍ يضفي شعورًا

(١) مقاييس اللغة ٦١/٢ وما بعدها (حسر).
(٢) تهذيب اللغة١٦٨/٤ (حسر).
(٣) الأصوات اللغوية، ص ٦٨.

بالانغلاقِ والاختناقِ، وكأنَّ الحسرةَ تغلق على المتحدثِ ولا يجد له مخرجًا مما يعززُ الإحساسَ بالندمِ الشديد.

ثم اختتمت الكلمةُ بالتاءِ المتحركةِ بحركةِ الفتحِ الطويلةِ، والتَّاءُ صوتٌ شديدٌ يخرجُ من طرفِ اللسانِ وأصولِ الثنايا العليا، لتوحي بشدةِ الحسرةِ والألمِ، وتعكس بهمسِها الشعورَ بالضعفِ والندمِ، وتحركه بحركةِ الفتحِ الطويلة زاد في الدلالةِ على امتدادِ الحسرةِ والندمِ واستمرارِهما وتعظيمهما، "أي يا طول غماه لانكشاف ما فيه صلاحي عني وبعده مني فلا وصول لي إليه لاستدراك ما فات منه، وذلك عند انكشاف أحوالها، وحلول أوجالها وأهوالها"(١).

ثم بيَّنت الآيات السببَ الذي أدَّى بهم إلى الحسرةِ، وعبَّرت بالفعل ﴿فَرَّطتُ﴾: والتفريط، "والفَرَطُ: الأَمْر الذّي يُفَرّط فيه صاحبُه، وتقول: كلّ أمرٍ من فلانٍ فَرَط. وفرّط فلانٌ في جَنب الله، أي: ضَيَّع حظّه من عندِ الله في اتّباع دينه ورضوانه"(٢).

وهو "يَدُلُّ عَلَى إِزَالَةِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانِهِ وَتَنْحِيَتِهِ عَنْهُ. يُقَالُ فَرَّطْتُ عَنْهُ مَا كَرِهَهُ، أَيْ نَحَّيْتُهُ... وَكَذَلِكَ التَّفْرِيطُ، وَهُوَ التَّقْصِيرُ، لأَنَّهُ إِذَا قَصَّرَ فِيهِ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ عَنْ رُتْبَتِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ"(٣).

وهذا الفعل بتكوُّنِه من صوتِ الفاء الذي يدلُّ بذلاقتِه وقربِ مخرجِه على سهولةِ وسرعةِ تفريطهم، كما يصورُ بهمسِه ورخاوتِه شدةَ ضعفهم حين قصَّروا في طاعةِ الله، ثم الرَّاء المشددة بجهرِها وتكرارِها التي تعطي دلالةَ وضوحِ تقصيرهم وظهورِه وتكرارِه واستمراريته، ومبالغتهم في هذا التفريط، والطَّاء القوي بجهرِه وشدَّتِه وإطباقِه يصورُ شدةَ هذا التفريط وظهوره وتشبع نفوسهم به حتى أدَّى بهم إلى

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٣٨/١٦.
(٢) العين ٤٢٠/٧.
(٣) مقاييس اللغة ٤٩٠/٤(فرط).

تجاوزِ حدهم، فكانوا من السَّاخرين، والسخريةُ: الاستهزاء، و"سَخِرَ منه وبه، أي: استهزأ"(١)

وهذه الكلمة باشتمالِها على صوت السين المتحركةِ بحركةِ الفتح الطويلة والذي يُسمع كأنَّه صفيرٌ طويلٌ إضافة إلى صوتِ الخاء باستعلائِه وإطباقِه، وهو صوتٌ حلقيٌّ غليظٌ يجعلُ السخريةَ تبدو وكأنَّها متأصلةٌ في شخصيتِهم، ثم الراء المتحركة بالكسرةِ الطويلةِ تجسد شدة جرمهم وإصرارهم على الاستهزاء المستمر وتماديهم فيه.

ثم يبدأ ردُّ الفعلِ تجاهَ هذا الانفعال ويتمثل في تمنِّى لو أنَّ اللهَ هداهم، وهذا اللفظ ﴿ هَدَىٰنِى ﴾ باشتمالِه على صوتِ الهاءِ الحنجري الاحتكاكي المهموس يتناسبُ مع ضعفِهم وشدةِ ندمهم .

ويتجلَّى خوفُهم حين رؤيتهم العذاب، وهو مؤثرٌ قويٌّ أوصلَهم إلى انفعالِ الندم، فيتمنوا المستحيلَ، وهو الرجوع إلى الدنيا فيكونوا من المحسنين.

و﴿ ٱلْعَذَابَ ﴾ هو"الإيجاعُ الشديد، و..عذَّبَه تعذيبًا: أكثرَ حبسَه في العذاب"(٢)

وهذه الكلمة بما تشتملُ عليه من أصواتٍ تجسدُ قوةَ العذابِ وشدَّتَه على الكافرين، بدايةً من صوتِ العينِ بجرسِه القويّ، والذال برخاوتِها التي تمثِّلُ استمرارَ العذابِ وامتدادَه، ثم الباء بما فيها من انحباسٍ وكأنَّها تشيرُ في نهايةِ الكلمةِ لبلوغِ أقصى درجات الإيجاعِ والألم.

ونلاحظُ أنَّ ترددَ صوت اللامِ في الآياتِ بانحرافِه وجانبيتِه يصوِّرُ حالَهم حين بعدوا عن الحقّ وانحرفوا عن طريقِ الله، وكأنَّه صوتٌ داخليٌّ مستمرٌ يجعلُ الإنسانَ يتمنى ما لا يمكنُ تحقيقه، ويعكسُ حالةَ الشخصِ الذي يتمنَّى العودةَ

(١) العين ١٩٦/٤(سخر).

(٢) المفردات في غريب القرآن ٥٥٤ وما بعدها.

للدنيا ولكنَّه يدركُ أنَّ الوقتَ قد فات، وهذا يتناسبُ مع معنى الآيات التي تعبّرُ عن الحسرةِ والندم.

كما أنَّ تنوعَ الأصواتِ بين المفخَّمةِ والمرققةِ يعكسُ التباينَ وتقلُّبَ المشاعرِ بين حالةِ الندمِ الشديدِ، وبين تمنِّي الرجوع إلى الطريقِ الصحيحِ ليقومَ بالأفعالِ التي كان يمكنُ أن يقوم بها لو تحقَّقَت له أمنيتُه.

ثالثا: الدلالة الصرفية:

دلالة الصيغ:

الفعل ﴿ فَرَّطتُ ﴾ الذي جاء على صيغة (فعَّلَ) وهي صيغة مبالغة تدل على الإفراط والتهاون الشديد ويشير إلى مبالغة المتحدث في تقصيره وإهماله في حق اللهﷻ، كما يدل على استمرارية هذا التفريط، وكثرته حتى صار التفريطُ عادةً لهم، والعادةُ: "استعدادٌ مكتسبٌ دائمٌ لأداءِ عمل من الأعمالِ حَرَكيًّا كان أم عقليًّا أو خلقيا بطريقةٍ آليَّةٍ، مع السرعةِ والدقَّةِ والاقتصادِ في المجهود"(١).

وهي "مَيلٌ قويٌّ إلى تكريرِ المألوفِ والتشَبُّثِ به، ومقاومةِ السلوكِ الجديدِ أو الغريب... كأنَّ العادات أصبحت نفسها دوافع تحملنا على الاستمرارِ في السلوكِ المألوفِ بدلا من اصطناعِ طرقٍ أخرى لإرضاءِ دوافعنا"(٢).

دلالة الأفعال:

- الفعل ﴿ تَقُولَ ﴾ جاء بصيغةِ المضارعِ الذي يدلُّ على التجدُّدِ والحدوثِ؛ لاستحضارِ حالهم في النَّار، حيث أخذت كلُّ نفسٍ تتحسرُ على حالِها، ولكثرةِ التحسُّرِ صارَ كأنَّه يتجددُ شيئًا فشيئا، فهذا الحديث يعكسُ حالةَ الحسرةِ والندم.

(١) أصول علم النفس، ص١٠١.

(٢) أصول علم النفس، ص١٠٣.

- استخدام الفعل الماضي ﴿ فَرَّطتُ ﴾ والذي يفيدُ التحقق والثبوت ليدلَّ على اعترافِهم بتفريطِهم وثبوته في حقِّهم، وهذا يُعمِّقُ الإحساسَ بالذنبِ والندم على ما قدَّموه في حقِّ الله .

- **دلالة المشتقات:**

﴿ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ مشتقة من الفعل (سخر) للدلالة على أنَّ سخريتَهم كانت صفةً ثابتةً فيهم، فهي وإن كانت على صيغة (فاعِل) إلا أنَّها تدلُّ على وصفٍ ثابتٍ غير عارض أو مؤقت بزمنٍ محدود، يقول عباس حسن: "فهذا الوزن وحده ليس كافيًا في الدلالةِ على الحدوثِ أو على الثبوتِ والدوام؛ فلا بُدَّ معه من القرينةِ التي تعين أحدهما، وتزيل عنه اللبسَ والاحتمال؛ كي يمكن القطع بعد ذلك بأنَّه في دلالته المعنوية –لا الشكلية– اسم فاعل، أو صفة مشبهة"(١).

﴿ ٱلۡمُنَّقِينَ –ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ هي أسماءُ أفعال من الفعل غير الثلاثي (اتَّقَى – أحسنَ)، وهي في الأصلِ تدلُّ على الاستمراريةِ والدوامِ، ولكن لما صارت هذه الصفات ثابتةً على وجهِ الدوامِ ملتصقةً بأصحابِها تحوَّلَت إلى الصفةِ المشبهةِ، لتدلَّ على أنَّ التقوى والإحسان ليست أفعالا عابرة أو مؤقتة، بل هي صفة ثابتة ومتأصلة في أصحابها، وذلك لأنَّه إذا كان "المعنى ليس طارئًا حادثًا وإنَّما هو دائم أو شبه دائم –فيجب التصرف؛ إمَّا بتغيير صيغة (فاعل) الدالة على الحدوثِ إلى أخرى دالة على الثبوتِ أو شبهه" (٢).

(١) النحو الوافي ٢٤٤/٣.

(٢) النحو الوافي ، ٢٤٢/٣.

رابعا: الدلالة التركيبية:

١. دلالة الإفراد والجمع:

الإفراد في كلمة ﴿نَفۡسُۢ﴾ يدلُّ على الوحدة؛ "وإفرادُها وتنكيرُها كاف في الوعيدِ؛ لأنَّ كل أحد يجوز أن يكونَ هو المراد"(١)، فهي تعكسُ حالةَ كل فرد أمام الله ﷻ، وتجعلُ القارئَ يتخيل نفسَه في هذا الموقف، فهذه النفسُ في عزلةٍ تامَّةٍ بحسرتِها وألمِها.

بينما أفاد الجمعُ في: ﴿ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ الكثرةَ والتعدد، وهي "أَشَدُّ مُبَالَغَةً فِي الدَّلالَةِ عَلَى اتِّصَافِهِمْ بِالسُّخْرِيَةِ مِنْ أَنْ يُقَالَ: وَإِنْ كُنْتُ لَسَاخِرَةً"(٢) لتعكسَ ندمَ الشخص على الاستهزاءِ والسخرية، وهذا القول من الكافرِ ندمًا وتحسُّرًا على وجودِه في زمرةِ هؤلاء الساخرين الذين سخروا من أهلِ الطاعة، كما أفادَ الجمعُ في ﴿ٱلۡمُنَّقِينَ - ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الكثرة والتعظيم والإجلال لهؤلاء المؤمنين الموحدين، وهذه الصفات بجمعها على هذه الصيغة يُقربُها من الفعليةِ، وقد فرَّق الدكتور فاضل السامرائي في الجمعِ السالمِ بين الجوامدِ والصفات في الدلالةِ على القلَّة أو الكثرة، حيث قال: "الأصل في الجمعِ السالمِ أنَّه يفيدُ القلة، غير أنَّ هذا القول ليس على إطلاقِه، وإنَّما يحتاج إلى تفصيل، فإنَّ هذا الجمع يدلُّ على القلةِ في الجوامد، وأمَّا في الصفات فإنَّ دلالتَه على القلَّةِ ليست مطردة، بل نستطيع أن نقولَ إنَّ الأصلَ فيه عدم دلالتِه على القلةِ، وإنَّما الأصل فيه أن يدلَّ على الحدث، فجمع الصفات جمعًا سالمًا يقربُها من الفعلية، وتكسيرها يبعدها من الفعليةِ إلى الاسمية"(٣).

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٣٧/١٦.

(٢) التحرير والتنوير ٤٧/٢٤.

(٣) معاني الأبنية في العربية، ١٢٦

٢. دلالة التعريف والتنكير:

جاءت كلمة ﴿نَفْسٌ﴾ نكرة "لِلنَّوْعِيَّةِ، أَيْ أَنْ يَقُولَ صِنْفٌ مِنَ النُّفُوسِ وَهِيَ نُفُوسُ الْمُشْرِكِينَ"(١)، وهي النفس التي اتَّسَمت بالإعراضِ والغفلةِ، وأضاعت فرصتَها في الهداية، وهي بتنكيرِها تعطي شعورًا بهولِ الموقفِ وعظمِ الندمِ والحسرةِ، فهذه الأنفس مهما كانت عظيمةً أو غير ذلك ستشعرُ بالندمِ عند رؤية العذاب، وفي الكشاف:" فإن قلت: لم نكرت؟ قلت: لأنّ المراد بها بعض الأنفس، وهي نفس الكافر، ويجوز أن يرادَ: نفس متميزة من الأنفسِ: إما بلجاج في الكفر شديد، أو بعذاب عظيم، ويجوز أن يراد التكثير"(٢).

والتعريف في ﴿ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ تعريف الجنس، فإخبار المتكلم عن نفسِه يفيد أنَّه واحدٌ من الفئةِ التي تُعرف عند الناسِ بفئةِ الساخرين، وفي الكشاف: قولك فلان من العلماءِ أبلغ من قولك فلان عالم لأنَّك تشهدُ له بكونِه معدودًا في زمرتِهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم(٣) فالتعريف هنا يدلُّ على التأكيدِ على اتِّصافهِم بهذه الصفة، مما يعطي بعدًا نفسيًّا قويًّا، حيث يظهر الندم على كونه واحدًا من زمرةِ المستهزئين الذين لازمتهم هذه الصفة وعُرفوا بها.

والتعريف في ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ و﴿ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ يفيد العمومَ وشمولَ الجنسِ بأكملِه؛ فالمتندمُ يتمنى لو عادَ إلى الدنيا ليكون مع من اتَّصفوا بالتقوى والإحسان.

٣. دلالة الحروف:

– استعمال حرفِ النداء في قوله: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ والذي يُستخدم لاستدعاءِ الحسرة، وكأنَّها إنسانٌ يستغيثُ به ويناديه مما يعكسُ شدةَ الندمِ والتأسف الذي يشعر به

(١) التحرير والتنوير ٢٤/٤٥.

(٢) الكشاف للزمخشري ٤/١٣٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٧/٢٦٣، وينظر: تفسير الزمخشري ٣/٣٣١.

المتكلم "بِتَشْبِيهِ الْحَسْرَةِ بِالْعَاقِلِ الَّذِي يُنَادَى لِيُقْبِلَ، أَيْ هَذَا وَقْتُكِ فَاحْضُرِي.... أَيْ يَا حَسْرَتِي احْضُرِي فَأَنَا مُحْتَاجٌ إِلَيْكِ، أَيْ إِلَى التَّحَسُّرِ، وَشَاعَ ذَلِكَ فِي كَلامِهِمْ حَتَّى صَارَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ كَالْمَثَلِ لِشِدَّةِ التَّحَسُّرِ"(١).

ونظرَ علماءُ اللّغةِ العربيّة، ثُمَّ علماءُ البلاغةِ إلى خروجِ أدوات النداء عن غرضِ طلب الإجابة لأمْرٍ ما، إلى معانٍ أخرى "ففي التحسُّر يُسْتَعْمَل النداء بمدّ الصوت تعبيراً عن تأوُّهٍ داخِلِيّ في النفس، فيقول المتحسّر مثلاً: يَا حَسْرَتي – يَا حَسْرتا – يا حَسْرَتاه، ويرافق التحسُّرَ الندمُ والتمني غالباً إذا كان المتحسِّر يتحسَّر من أجل نفسه" (٢).

– دلالة حروف الجر:

– استعمال حرف الجر (على) في قوله ﴿نَفْسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ والذي يدل على "الاسْتِعْلاءِ كَمَا هُوَ غَالِبُهَا لِلدَّلالَةِ عَلَى تَمَكُّنِ التَّحَسُّرِ مِنْ مَدْخُولِ عَلى"(٣) وهو التفريط، فهو يوضح أن التقصير هو السبب المباشر للندم .

– استعمال حرف الجر في قوله: ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ فيه إظهار للحسرة والندم، وَهذا الحرف "يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِتَعْدِيَةِ فِعْلِ فَرَّطْتُ فَلا يَكُونُ لِلْفِعْلِ مَفْعُولٌ وَيَكُونُ الْمُفَرَّطُ فِيهِ هُوَ جَنْبُ اللَّهِ، أَيْ جِهَتُهُ وَيَكُونُ الْجَنْبُ مُسْتَعَارًا لِلشَّأْنِ وَالْحَقِّ، أَيْ شَأْنِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَوَصَايَاهُ تَشْبِيهًا لَهَا بِمَكَانِ السَّيِّدِ وَحِمَاهُ إِذَا أُهْمِلَ حَتَّى اعْتُدِيَ عَلَيْهِ أَوْ أَقْفَرَ،..أَو تكون جُمْلَةَ ﴿مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ تَمْثِيلا لِحَالِ النَّفْسِ الَّتِي أُوقِفَتْ لِلْحِسَابِ وَالْعِقَابِ بِحَالِ الْعَبْدِ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْهِ سَيِّدُهُ حِرَاسَةَ حِمَاهُ وَرِعَايَةَ مَاشِيَتِهِ فَأَهْمَلَهَا حَتَّى رُعِيَ الْحِمَى وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي وَأُحْضِرَ لِلتِّقَافِ فَيَقُولُ: يَا حَسْرَتَا عَلَى

(١) التحرير والتنوير ٢٤/٤٥.
(٢) البلاغة العربية ١/٢٤٧.
(٣) التحرير والتنوير ٢٤/٤٥.

مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ سَيِّدِي، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا مَوْصُولَةً وَفِعْلُ فَرَّطْتُ مُتَعَدِّيًا بِنَفْسِهِ عَلَى أَحَدِ الاسْتِعْمَالَيْنِ، وَيَكُونُ الْمَفْعُولُ مَحْذُوفًا وَهُوَ الضَّمِيرُ الْمَحْذُوفُ الْعَائِدُ إِلَى الْمَوْصُولِ، وَحَذْفُهُ فِي مِثْلِهِ كَثِيرٌ، وَيَكُونُ الْمَجْرُورُ بِ فِي حَالا مِنْ ذَلِكَ الضَّمِيرِ، أَيْ كَائِنًا مَا فَرَّطْتُهُ فِي جَانِبِ اللَّهِ(١).

٤. دلالة الجمل:

– الجمل الشرطية: اشتملت الآيات على جمل شرطية مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ و﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ والتركيب النحوي للجمل الشرطية يعكس حالة من التفكير الذي يزيد من حدة الشعور بالندم، "أَيْ لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَرْشَدَنِي إِلَى دِينِهِ لَكُنْتُ مِمَّنْ يَتَّقِي الشِّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ مَا يَحْتَجُّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْحُجَجِ الزَّائِفَةِ، وَيَتَعَلَّلُونَ بِهِ مِنَ الْعِلَلِ الْبَاطِلَةِ"(٢)، فهذه الجمل تبرز العلاقةَ السببيةَ بين الفعلِ في الدنيا والنتيجةِ في الآخرة، مما يعمقُ من شعورِهم بالندمِ، حيث استعملوا لو التي تفيدُ التمني المستحيل، و"تصرفُ المضارعَ إلى المضي"(٣) ، لتعبرَ عن رغبتِهم في العودةِ للدنيا، لتصحيحِ أخطائهم، وتكشف عن حسرةٍ شديدةٍ وندمٍ عميقٍ على ضلالِهم، لكن أمنيتَهم مستحيلةُ التحقيق.

– الجملة الاعتراضية: قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ "خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي إِنْشَاءِ النَّدَامَةِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ قَبُولِ مَا جَاءَهَا بِهِ الرَّسُولُ مِنَ الْهُدَى فَكَانَتْ تَسْخَرُ مِنْهُ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ فَرَّطْتُ، أَيْ فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ تَفْرِيطَ السَّاخِرِ لا تَفْرِيطَ الْغَافِلِ، وَهَذَا إِقْرَارٌ بِصُورَةِ التَّفْرِيطِ"(٤)، "أَيْ: وَمَا كُنْتُ إِلا مِنَ

(١) التحرير والتنوير ٤٦/٢٤.
(٢) فتح القدير ٥٤٠/٤.
(٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم٦٤٧/٢.
(٤) التحرير والتنوير ٤٦/٢٤.

الْمُسْتَهْزِئِينَ بِدِينِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا"[١]، فهذه الجملة تعمل على توضيحِ سبب الحسرةِ والندمِ، وهو السخرية والاستهزاء، وفيها اعترافٌ منه و"مبالغةٌ في الإعلامِ بالإقلاعِ عما كان يقتضيه حاله، ويصرح به مقاله .... أي كان ذلك في طبعي ..أي المستهزئين المتكبرين المنزلين أنفسهم في غير منزلتها"[٢].

(١) فتح القدير ٥٤٠/٤.

(٢) نظم الدرر ٥٣٩/١٦.

المبحث الرابع

الموضع الرابع

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ (سورة النازعات: ٨- ١٤).

المعنى العام للآيات الكريمة:

تصف الآياتُ الكريمةُ علاماتِ يوم القيامة وأهوالها، ويُقسِم اللهُ تعالى في هذه السورة بأنَّ الخلائقَ سوف تُبعثُ من قبورِها وتُحَاسَب يوم تضطربُ الأرضُ بالنفخةِ الأولى (وهي نفخة الإماتة) التي يموتُ بعدها جميعُ الخلائقِ، وقد سُمِّيَت هذه النفخة بالراجفةِ، لأنَّها تتسببُ في إرجافِ - أي اضطراب - الكون كلِّه وفنائِه، وبسببها تضطربُ الأمورُ، وتختلُّ الشئون، تتبعُها النفخةُ الثانية (وهي نفخة الإحياء)، وفيها يُبعثُ الموتى بإذن الله- تعالى-، وقد سُمِّيَت بالرادفةِ لأنها تَرِدُف النفخة الأولى، أى تأتى بعدها وتكون قلوبُ الكفارِ يومئذٍ خائفةً قلقةً، وأبصارُ أصحاب هذه القلوب تكون ذليلةً منكسرةً، ويتساءل مُنكِروا البعث أنُرَدُّ إلى أولِ خلقِنا وابتداءِ أمرنا فنصير أحياء كما كنا؟ أنُرَدُّ بعد أنْ صِرنا عظامًا مفتتة؟!، وقَالُوا: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ يعني: رَجْعتنا تلك ستكون إذًا خاسرة، أي لا أمل في وقوعها (فشَبَّهوها بالتجارةِ الخاسرةِ التي لا أمل في ربحِها)، فرَدَّ اللهُ عليهم قائلاً: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، يعني فإنَّما هي صيحة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾: يعني فإذا هم أحياءٌ على وجهِ الأرض(١).

الدراسة التحليلية:

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي ٢٦٤/١٥، التفسير البسيط ١٧٤/٢٣ وما بعدها.

أولا: الانفعال النفسي المصاحب للآيات :

تصورُ الآيات مشهدًا من مشاهدِ يومِ القيامة، وتبيّنُ الانفعالات التي تظهرُ على البشرِ عند مواجهة هذا اليوم العظيم، حيث تبدأُ بالراجفةِ وهي النفخة الأولى ثمَّ "تمضي الصورة في بيانِ أثر الرادفةِ، وهي النفخة الثانية في الكافرين، فتلمس القلوبَ الواجفةَ، والأبصارَ الشاخصةَ من شدةِ الموقفِ، ثم تزيدُ من إحياءِ المشهدِ بالاعتمادِ على الحوارِ، فتدعهم يتكلمون عن أنفسهم، وتظهر حوارهم الشاك باليوم الآخر، من خلالِ تصويرِ مشهد من مشاهده، لإثارةِ الضحكِ على هؤلاء الأغبياء المكذبين به، فهم كانوا يستبعدون بعثَ الموتى بعد أن تُبلى العظام، وها هم أولاء يُبعثون، وتعرض أقوالهم الماضية المكذبة تهكمًا وسخريةً منهم، ويوضعون في السياقِ هنا بين الراجفةِ والرادفةِ، وبين الزجرةِ الواحدةِ، حتى تبدو تفاهةُ أقوالهم، وضآلتهم في ذلك المشهدِ العنيف"(١).

وتبينُ الآيات ما يحدث لهم من انفعالاتٍ حيث يتملكهم الخوفُ والرعبُ، وتخفقُ القلوبُ بسببِ الفزعِ من هولِ الموقفِ، ثمَّ ينتقلُ حالُهم من شدةِ الرعبِ إلى الذلِّ والانكسارِ والخضوعِ، لتنكسرَ نظراتُهم وتخضعَ أمامَ عظمةِ الله ﷻ وهيبة المشهد، ثم ينتقلون إلى حالةِ الصدمةِ والإنكارِ، فهم لا يمكنهم تصور فكرةَ البعثِ بعد الموتِ و"يستبعدون الخروجَ من القبورِ، ويَشُكُّون في البعث والنشور، ويتساءلون كيفُ يرَدُّون أحياءً بعدما أصبحوا عظامًا نخِرَة، ثمَّ لا يلبثون أن يتخيلوا أنَّ البعثَ قد وقع، وأنَّهم كانوا على غيرِ حقٍّ في استبعادِه"(٢)، ثم يأتي شعورُ الندم والحسرةِ واليأسِ ليدركوا أنَّهم لو رجعوا إلى الحياةِ بعد البعثِ فسوف يكونُ هذا

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص٣٣٢.

(٢) التيسير في أحاديث التفسير ٣٧٣/٦.

الرجوع خسارةً لهم بعد مواجهةِ الحسابِ والعقابِ، وأخيرًا تأتي المفاجأةُ والصدمةُ في قوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ حيث تفاجؤهم النفخة التي تنقلهم من الموت إلى الحياة.

ثانيا: الدلالة الصوتية في الآيات:

استطاع القرآنُ الكريمُ تصويرَ الانفعال النفسي الناتج عن رؤيةِ أهوال يوم القيامة وأحداثها عن طريقِ استخدام الأصوات المنسجمة والمتناغمة، وتبدأ هذه الأهوال بالراجفة، و"الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ"(١)، و"رَجَفَتِ الأرض تزلزلت. .. والرَّجفةُ: كلُّ عذابٍ أُنزل فأخذ قوماً"(٢) و"الرَّاجِفةُ الأَرض تَرْجُفُ تَتحرَّكُ حَرَكَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ الزَّلْزَلَة. وَفِي الْحَدِيثِ:أَيها الناسُ اذكُروا اللَّهَ، جاءتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرّادِفةُ ؛ قَالَ: الرَّاجِفَةُ النفخةُ الأُولى الَّتِي تَمُوتُ لَهَا الْخَلائِقُ"(٣).

وفي استعمالِ كلمة ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ بدلا من (الأرض) تصويرٌ لهولِ الموقفِ الذي أصبحت فيه الأرضُ، وما يحدثُ فيها من اضطرابٍ ورجفان، وقد صوَّرت أصواتُ الكلمةِ هذا المعنى تصويرًا دقيقًا بتكرارِ صوتي الرَّاء والفاءِ، لتحسَّ بهذه "الرجفة التي تشيعُ في نفسِك وأنت تستمعُ إلى تكرارِ صوتِ الراء الذي تتتابعُ في نطقِه طرقاتُ اللسان على اللثة، تتابعًا سريعًا، يصورُ أبدعَ تصويرٍ هذه الرعشة التي تنتابُ الأرضَ والسماءَ، يساعدُه في ذلك صوتُ الفاء وصوتُ الجيم وهو صوتٌ صامتٌ مجهورٌ لثوي حنكي انفجاري احتكاكي مركب، ويسبقه صوتٌ صائتٌ طويلٌ يبرز تكرارَ حرف الراء، ويعطيه استمرارًا أكثر .. ثمَّ ينقطع النفسُ وينغلقُ مجرى الهواء حين النطق بالجيم، ثم ينفتح مرةً أخرى ليسمحَ بنطقِ صوتِ الفاء

(١) مقاييس اللغة ٤٩١/٢.
(٢) العين ١٠٩/٦.
(٣) لسان العرب ١١٢/٩.

الذي يلتقطُ الصدى من الراء ليصورَ بجرسِه الاحتكاكي المهموس حالةَ الاهتزاز "[١].

فالراء بجهرِها وتكرارِها وتحركِها بحركةِ المدِّ الطويلةِ، ثم الجيم بشدَّتِها وجهرِها وقلقلتِها تؤدي معنى الرجفة والاضطراب .

وتتبع هذه النفخة الأولى نفخة ثانية هي الرادفة لأنَّها "ردفت الأولى، أي: جاءت بعدها وكل شيء جاء بعد شيءٍ فهو يردفه"[٢]، وفي المقاييس: "الرَّاءُ وَالدَّالُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَى اتِّبَاعِ الشَّيْءِ. فَالتَّرَادُفُ: التَّتَابُعُ. .. وَيُقَالُ: نَزَلَ بِهِمْ أَمْرٌ فَرَدِفَ لَهُمْ أَعْظَمُ مِنْهُ، أَيْ تَبِعَ الأَوَّلَ مَا كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ" [٣]، و"الرِّدْفُ: ما تَبِعَ شيئاً فهو ردفه"[٤]

وهذه الكلمة باشتمالها على صوت الرَّاء، وما يحدث من "حريةِ خروجِ الهواء معها بسببِ الاتصالِ والانفصالِ المتكررين"[٥] إضافة إلى تحركِها بحركةِ الفتح الطويلة يعطي دلالةَ الطول والامتداد، ثمَّ صوت الدال بما له من وضوحٍ سمعيٍّ قويٍّ يهتزُ معه الوتران الصوتيَّان، "وهو صوتٌ شديدٌ مجهورٌ يتكوَّنُ باندفاعِ الهواء مارًّا بالحنجرةِ حتى يصلَ إلى مخرجِ الصوتِ فينحبس هناك فترةً قصيرةً لالتقاءِ طرف اللسان بأصولِ الثنايا العليا التقاءً مُحكمًا، وبانفصالِ اللسانِ عن أصولِ الثنايا يُسمَع صوتٌ انفجاري هو الدال"[٦]، فما يتسمُ به هذا الصوت من صفاتِ الشدَّة والجهر وما يحدثُ عند النطقِ به من حبسٍ وضغطٍ للهواءِ ثم اندفاعه بقوة،

(١) لغة القرآن في جزء عم، ص ٣٤٨ .
(٢) زاد المسير في علم التفسير ٤/ ٣٩٣.
(٣) مقاييس اللغة (ر د ف) ٥٠٣/٢.
(٤) كتاب العين ٢٢/٨.
(٥) علم الأصوات، ص ٣٥٣ – ٣٥٨.
(٦) ينظر:الأصوات اللغوية، ص٥١

يتناسبُ مع قوةِ النفخة الثانية، كما يتناسبُ مع شدَّةِ الموقفِ وهولِه وفظاعتِه، كما أنَّ ما يتصف به من إصماتٍ يتناسب مع حالة الاندهاش والذهول التي أصابت هؤلاء القوم عند رؤيةِ أهوال يوم القيامة، ثم صوت الفاء بما فيه من انفتاحٍ، وما يدلُّ عليه من "النفاذِ بقوةٍ (كالطرد والإبعاد) إلى ظاهرِ الشيء مع اتساعِ النافذِ أو انتشارِه"(١) ليعبرَ عن امتدادِ هذه النفخة واتساعِ أثرها.

ويصورُ القرآنُ حالَ القلوبِ والأبصارِ في هذه الحالة، فتكونُ القلوبُ واجفةً، والأبصارُ خاشعةً، "قَالَ الزّجاج: واجِفَة، شَدِيدَة الاضْطراب، وَقَالَ قَتادة: وَجَفتْ ممّا عَايَنتْ، وَقَالَ ابْن الكلبيّ: واجِفَةٌ: خائِفَة"(٢)

وقد ناسبت الأصواتُ في الكلمتين معانيها، فكلمةُ ﴿وَاجِفَةٌ﴾ باشتمالِها على الواو المتحركة بحركةِ المدِّ الطويلة ثم الجيم الجهرية الانفجارية الشديدة تصورُ مشهدَ الاضطرابِ والفزعِ يوم القيامة، ثم يأتي صوتُ الفاء بهمسِه ورخاوتِه واستفالِه وانفتاحِه وذلاقتِه، وهو صوتٌ ضعيفٌ ليس فيه من صفاتِ القوةِ شيءٌ، ليؤكدَ على شدة خوفهم من أهوال يوم القيامة.

ويتأكد معنى الخوف بوصفِ الأبصار بأنَّها ﴿خَاشِعَةٌ﴾، و"خَشَع يَخْشَعُ خُشوعاً.. رَمَى بِبَصَرِهِ نَحْوَ الأَرض وغَضَّه وخفَضَ صَوْتَهُ...وخشَع بصرُه: انْكَسَرَ "(٣).

فالخشوعُ هو الذلُّ والانكسار، و"الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ، وَهُوَ هَيْئَةٌ لِلإِنْسَانِ، وَوَصْفُ الأَبْصَارِ بِهِ مَجَازٌ فِي الانْخِفَاضِ وَالنَّظَرِ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ مِنْ شِدَّةِ الْهَلَعِ وَالْخَوْفِ

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل ٣٤/١.
(٢) تهذيب اللغة ١٤٥/١١ .
(٣) لسان العرب ٧١/٨(خشع).

مِنْ فَظِيعِ مَا تُشَاهِدُهُ مِنْ سُوءِ الْمُعَامَلَةِ"[١]، وهذه الكلمة باشتمالِها على صوتِ الخاءِ بهمسِهِ ورخاوتِه ثم الشين برخاوتِه وتفشّيه تصورُ مشهدَ الخشوعِ والضعفِ والمَذَلَّةِ، ثم يأتي صوتُ العين بنصاعتِه وجهرِه ووضوحِه أكدَّ على شدةِ خوفِهِم؛ فهم" قد ملكَ قلوبَهم الخوفُ، وأذهلَ أفئدتَهم الفزعُ، وغلبَ عليهم التأسُّفُ، واستولت عليهم الحسرةُ" [٢]

ثم بدأت حالةُ الاستنكارِ ليقولوا ﴿ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴾ ، وهذه الكلمة ﴿لَمَرْدُودُونَ ﴾ بما اشتملت عليه من صوتِ الميم، وما فيه من جهرٍ، واهتزازٍ للوترين الصوتيين، وإحداث رنينٍ مسموعٍ يتناسبُ مع النبرةِ العاليةِ الواضحةِ والصوتِ المرتفعِ التي تحدَّثَ به هؤلاء القوم، كما أنَّ الجهرَ في الدالِ والنون يحاكي مجاهرَتهم وإفصاحهم عما يجولُ بخاطرِهم، كمَّا عبَّرَ تكرارُ المدِّ والمقاطع الصوتية الطويلة عن شدة إنكارِهم واندهاشهم .

وَالْمُرَادُ بِالْحافِرَةِ "الْحَالَةُ الْقَدِيمَةُ، يَعْنِي الْحَيَاةَ...يُقَالُ رَجَعَ فُلانٌ إِلَى حَافِرَتِهِ، أَيْ فِي طَرِيقِهِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا فَحَفَرَهَا، أَيْ أَثَّرَ فِيهَا بِمَشْيِهِ فِيهَا جُعِلَ أَثَرُ قَدَمَيْهِ حَفْرًا أَي لأَنَّ قَدَمَيْهِ جُعِلَتَا فِيهَا أَثَرًا مِثْلَ الْحَفْرِ، ..وَيَقُولُونَ: رَجَعَ إِلَى الْحَافِرَةِ، تَمْثِيلا لِمَنْ كَانَ فِي حَالَةٍ فَفَارَقَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَصَارَ: رَجَعَ فِي الْحَافِرَةِ، وَرُدَّ إِلَى الْحَافِرَةِ" [٣].

والحاءُ صوتٌ مهموسٌ، والصوتُ المهموسُ صوتٌ خفيٌّ ضعيفٌ[٤]، وهو بهذا يتناسبُ مع خفاءِ الحقِّ عنهم، كما أنَّ الحاء من الأصواتِ الاحتكاكيةِ الرخوةِ التي

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٦٨.
(٢) تفسير السعدي ٩٠٨.
(٣) التحرير والتنوير ٣٠/٧٠.
(٤) الرعاية، ص ١١٨.

يشهدُ إنتاجُها تضييقًا، أو لا يُغلق معها الممرُّ في أثناءِ نطقِها، وإنَّما يضيقُ بدرجاتٍ معينةٍ، ويمرُّ الهواءُ من هذا الممرِّ الضيقِ(١)، ومن صفاتها أنَّها أصواتٌ ممتدَّةٌ، بمعنى أنَّه يمكن الاستمرارُ في نطقِها، ما أسعفَ النَّفَسُ(٢).

هذا الاستمرارُ التي تتسمُّ به الحاءُ يحاكي طولَ مدَّةِ إنكارهم للحقِّ، كما أنَّ ما يتصفُ به من همسٍ واستفالةٍ، يتناسبُ مع اختفاءِ الحقيقةِ وتزييفِها، ومحاولةِ طمسِها فترةً ليست بالقليلة، ساعدَ على ذلك تكرارُ المقاطع الطويلة، وقد شاركت هذه الدلالةُ الصوتيةُ في الكشف عن المعنى النفسي الكامنِ ورائها، والذي يتمثل في الاستنكار والتعجب.

ثم "استبعدوا أن يبعثَهم اللهُ ويعيدَهم بعدما كانوا عظامًا نخرةً، جهلا منهم بقدرةِ الله، وتجرؤًا عليه"(٣) فقالوا: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ .

وإذا ما نظرنا في جرس لفظة (الكرَّة) وهي الرجعة التي جاءت في الآية الكريمة في موضع الندم، "بكافها المهموسِ استشعرناها تصفُ الكفارَ، وكأنَّهم يريدون الهمسَ بالخسارةِ لا الجهر! لأنهم كانوا يستبعدون حصولَ البعث"(٤)، "أي عندئذ، وبعد أن يعاين المشركون أمارات الساعة، وهم فى هذه الدنيا، وبعد أن يتبينَ لهم أنَّ أمرَ البعثِ جدٌّ لا هزل، وأنَّه لا شكّ واقع- عندئذ «قالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ» أي رجعة قد خسرنا فيها أنفسنا، إذ لم نكن نتوقعها، ولم نعمل لها حسابا"(٥).

---

(١) عن علم التجويد القرآني، ص ٨١.

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي محمود السعران، ص ١٦٦.

(٣) تفسير السعدي، ص ٩٠٨.

(٤) لغة القرآن في جزء عم، ص ٤١٣ .

(٥) التفسير القرآني للقرآن ١٦/ ١٤٣٤.

ثم يقول الله ﷻ في بيان سهولة هذا الأمر عليه: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ "ينفخ فيها في الصور، فإذا الخلائقُ كلُّهم بالساهرة أي: على وجه الأرضِ، قيامٌ ينظرون، فيجمعهم اللهُ ويقضي بينهم بحكمهِ العدل ويجازيهم"(١)، والزجر "هو الكلام الكلام الذي فيه أمر أو نهي في حالة غضب، يقال: زجر البعير إذا صاح له لينهض" (٢)، فالزجرُ صوتٌ قويٌّ مصحوبٌ بالغضبِ، وهو بتكوُّنِه من الزاي المجهورةِ والجيمِ بشدَّتِها وانفجارِها وقلقلتِها، ثم الرَّاء بجهرِها وتكرارِها عبَّرت بذلك عن هذه الزجرةِ القويَّة العنيفةِ المصاحبةِ لحالة الغضب، فهذه الزجرة" ليست مجرد صيحة، وإنما هي صيحة فيها كل ما يحتملُ الزجر من قهرٍ وردعٍ وهوانٍ، مع ملحظ قريبٍ من المعنى الحسي الأصيل للمادة، من قولهم: زجر الكلب إذا ساقه" (٣)

ثالثا: الدلالة الصرفية:

- **<u>دلالة الصيغ:</u>**

١.جاءت كلمةُ ﴿ نَّخِرَةً ﴾ في قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾ على صيغة (فَعِل)، لتدلَّ على شدةِ تآكلِ عظامِهم وتَلَفِها، و"نَخِرَ العَظْمُ، فَهُوَ نَخِرٌ إذا بَلِيَ ورَمَّ"(٤)، و"النَّخِرُ، ككَتِف، والناخِر: الْبَالِي المُتَفَتِّت، يُقَال: عَظْمٌ نَخِرٌ وناخِرٌ، وَقد نَخِرَ، كفَرِح، وَكَذَلِكَ الخَشَبة، وَقد نَخِرَت، إِذا بَلِيَتْ واسْتَرْخَت، تَتَفَتَّت إِذا مُسَّتْ، والنَّخِرَةُ من العِظام: البالِيَة، والناخِرةُ: الَّتِي فِيهَا بَقِيَّة، وَقيل: هِيَ المُجَوَّفة الَّتِي فِيهَا ثُقْبَةٌ يجيءُ مِنْهَا عندَ هُبوب الرِّيح صوتٌ كالنَّخير..والنَّاخِرة والنَّخِرَة سَواءٌ فِي الْمَعْنى بمنزلةِ الطامِعِ والطَّمِع"(٥).

---

(١) تفسير السعدي، ص٩٠٨.

(٢) تفسير التحرير والتنوير/٣٠/٧٢، و ينظر: مقاييس اللغة/٤٤٨.

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم ١/١٤٠.

(٤) لسان العرب ٥/١٩٨.

(٥) تاج العروس (نخر)١٤/١٩٠ وما بعدها.

و"يُقرأ بإثباتِ الألفِ وحذفِها، فالحجَّةُ لمن أثبتَ: أنَّه أراد: عظامًا عاريةً من اللحمِ مجوّفةً، والحجة لمن حذف: أنَّه أراد: بالية، قد صارت ترابًا.. والأجود إثبات الألف ليوافقَ اللفظُ ما قبلها وبعدها من رءوس الآي"(١).

ومجيءُ الكلمة على (فَعِل) أبلغُ في هذا السياق، لأنَّها لا تجّردُ العظمَ عن اللحمِ فحسب، وإنَّما تَصِفُ العظامَ بأنَّها باليةٌ، فـ"النَّاخرةُ التي لم تُنخر بعد، أي: لم تبل"(٢)، فكأنَّ عدمَ احتوائِها المد يُجَرِّدُ عنها القوةَ، ويصّوِّرُ نخاعَهَا قد ذهبَ وصارت مجوفةً، "ويُلمحُ في قلةِ حروفِها وعدمِ وجود هذا المد ما يُعزِّزُ حالةَ النخرِ فيها والتآكل، فضلاً عن أنَّ دلالةَ (فَعِل) أبلغُ من (فاعل) ففي مجيئها على هذه الصيغة تصوير حالة عظامِهم بعد الموتِ بصورةٍ حسيَّةٍ، تُجسِّدُ اليأسَ من الرجوعِ إلى الحياة، وهو ما يعمِّقُ انفعال الندم"(٣)

٢. جاءت كلمة ﴿زَجْرَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ بصيغة المصدر، لدلالتِه على الحدثِ، وهو الصيحة التي يسمعُها من في بطونِ الأرضِ فيقومون من قبورهم، وأضيفت إليها دلالةٌ أخرى وهي دلالة المَرَّة لتُكَوِّنَ صيغة (فَعْلَة) التي هي من أوزان مصدر المرة، لتضفيَ عليها بصيغتِها وتنكيرِها معنى المبالغة، وهو يدلُّ على أنَّ أمرَ البعث سيتمُّ في لحظةٍ خاطفةٍ سريعةٍ دون الحاجة إلى تكرارِ الزَّجر، مما يساهمُ في رسمِ صورةٍ مفاجئةٍ لما يحدثُ للمنكرين، وتزيدُ من وقعِ الحسرةِ والندمِ عليهم، "وَعُبِّرَ بِهَا هُنَا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ بِتَكْوِينِ أَجْسَادِ النَّاسِ الأَمْوَاتِ تَصْوِيرًا لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى التَّسْخِيرِ لِتَعْجِيلِ التَّكَوُّنِ، وَفِيهِ مُنَاسَبَةٌ لإِحْيَاءِ مَا كَانَ هَامِدًا كَمَا يُبْعَثُ الْبَعِيرُ الْبَارِكُ بِزَجْرَةٍ

(١) الحجة في القراءات السبع/٣٦٢.

(٢)تفسير القرطبي ١٩٨/١٩.

(٣) بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء (عم يتساءلون) دراسة صوتية، ص٦٨.

يَنْهَضُ بِهَا سَرِيعًا خَوْفًا مِنْ زَاجِرِهِ.. وَوُصِفَتِ الزَّجْرَةُ بِوَاحِدَةٍ تَأْكِيدًا لِمَا فِي صِيغَةِ الْمَرَّةِ مِنْ مَعْنَى الْوَحْدَةِ لِئَلا يُتَوَهَّمَ أَنَّ إِفْرَادَهُ لِلنَّوْعِيَّةِ"(١).

- دلالة الأفعال:

ويتضح في هذه الآية استخدام:

١.صيغة المضارع في الأفعال ﴿تَرْجُفُ- تَتْبَعُهَا ﴾للدلالة على تجددِ الفعلِ واستمرارِ وقوعه، فهو يعطي دلالةَ الحركةِ والتجددِ، ويُظهرُ علاماتِ وأهوالَ يوم القيامة، وكأنَّها تتجسدُ أمامَ السامعِ.

كما جاء الفعل (و) بصيغة المضارع أيضًا "لِإِفَادَةِ أَنَّهُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ مُتَجَدِّدٌ فِيهِم لا يَرْعَوُونَ عَنْهُ، وَلِلإِشْعَارِ بِمَا فِي الْمُضَارِعِ مِنَ اسْتِحْضَارِ حَالَتِهِم بِتَكْرِيرِ هَذَا القَوْلِ لِيَكُونَ ذَلِكَ كِنَايَةً عَنِ التَّعْجِيبِ مِنْ قَوْلِهِمْ هَذَا ..وَقَدْ عَلِمَ السَّامِعُ أَنَّهُمْ مَا كَرَّرُوا هَذَا الْقَولَ إِلا وَقَدْ قَالُوهُ فِيمَا مَضَى، وَهَذِهِ الْمَقَالَةُ صَادِرَةٌ مِنهُمْ وَهُم فِي الدُّنْيَا"(٢) فهذا القول" يُجَدِّدونَه كل وقتٍ من غير خوفٍ ولا استحياء استهزاءً وإنكارًا"(٣) ويوحي بحالةِ الدَّهشة المتكرِّرَة التي يعيشونها عند مواجهة الحقيقة التي كانوا يُكَذِّبون بها، وهو تصويرٌ لحالةٍ نفسيَّةٍ مضطربةٍ ممتلئة بالندمِ والتردُّدِ.

٢. الفعل الماضي، الذي يدلُّ على الثُّبوتِ، وقد جاءت الأفعالُ ﴿كُنَّا –قَالُوْا ﴾ بصيغةِ الماضي ليشير إلى استبعادِهم التام لفكرةِ البعثِ واستهزائهم بها، "وَأُعِيدَ فِعلُ القَولِ لِمَقَاصِدَ مِنهَا الدِّلالَةُ على أَنَّ قَولَهُم هَذَا في غَرَضٍ آخَرَ غَيرِ القَوْلِ الأَوَّلِ فَالقَولُ الأَوَّلُ قَصْدُهُمْ مِنه الإِنكَارُ وَالإِبطَالُ، وَالقَوْلُ الثَّانِي قَصَدُوا مِنْهُ الاسْتِهْزَاءَ وَالتَّوَرُّكَ لأَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ بِتِلْكَ الْكَرَّةِ فَوَصْفُهُمْ إِيَّاهَا بِخاسِرَةٌ مِنْ بَابِ

(١) التحرير والتنوير ٧٢/٣٠.

(٢) التحرير والتنوير ٦٩/٣٠.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٢٤/٢١.

الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ، أَيْ لَوْ حَصَلَتْ كَرَّةٌ لَكَانَتْ خَاسِرَةً ..وَعُبِّرَ عَنْ قَوْلِهِم هَذَا بِصِيغَةِ المَاضِي دُونَ الْمُضَارِعِ .. لأَنَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ قَالُوهَا اسْتِهْزَاءً فَلَيْسَتْ مِمَّا يَتَكَرَّرُ مِنْهُمْ" (١).

وترى الدكتورة عائشة عبد الرحمن أنَّ الإتيانَ بالمضارعِ ﴿يَقُولُونَ﴾ يتناسبُ مع حيرتِهم وتعجبِهم، أما الماضي ﴿قَالُواْ﴾ يتناسبُ مع حالةِ اليأسِ من استرجاعِ ما فات، فتقول: "أمَّا الكرة الخاسرة فجاءت مع الفعل ماضياً ﴿قَالُواْ﴾ وأتدبرُ هذا الانتقال من المضارعةِ إلى المضي، فأراه يهدي إلى بيانِ وجه المقول وتحديدِ الجوِّ الذي قيلت فيه كل منهما، والدلالة على الحالةِ النفسيَّةِ للقائلين في كل من الموقفين: بغتتهم رجفة القيامة، بما تبعها من هزةٍ ووجيف وخشوع، فهم يقولون في دهشةِ المأخوذ وحيرةٍ من فوجئ بما لم يكن في حسابه قط: لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ؟ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً؟ ولم يكن الموقفُ بحيث يحتاج إلى إجابتِهم عما سألوا عنه، وقد قُضِيَ الأمرُ وصار كلٌّ هذا الذي كذَّبوا به واستبعدوه واقعًا مشهودًا، فلما عاينوا اليقينَ، قَالُوا: تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ، في حسرةٍ وندمٍ ويأسٍ.

وفي كلمةِ ﴿قَالُواْ﴾ من سرِّ البيان، أنَّها تأتي حيثُ يبدو في ظاهرِ الأمرِ إمكان الاستغناء عنها بـ: يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً؟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ. ومجيئها هو الذي يوجه إلى انتقالهم من حال إلى حال.

فهم في أخذة الرجفة يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ؟ والمضارعة هنا هي التي تلائم حيرة المأخوذ وعجب المستغرب، كما أنَّ المضىَّ في ﴿قَالُواْ﴾ بعد أن أتاهم اليقين، هو الملائمُ لحالةِ اليأسِ من استرجاعِ ما فات أو استدراك ما مضى والتيقن من الخسرانِ المحقق والمصير المحتوم.....هذا مما يوجه إليه ﴿يَقُولُونَ﴾

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٧١.

في صدرِ الآيتين الأوليين، عند رجفة القيامة ثم المغايرة بـ ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ حين تحقق الخسران وقضي الأمر فلا سبيل إلى استرجاع ما فات"[١].

- دلالة اسم الفاعل:

استعمل النظم القرآني صيغة اسم الفاعل لتدلَّ على الحدوث، وذلك في ﴿ٱلرَّاجِفَةُ-ٱلرَّادِفَةُ-وَاجِفَةٌ-خَٰشِعَةٌ-خَاسِرَةٌ﴾.

فالراجفةُ على (فاعلة) لتشير إلى حدوثِ الزلزلةِ الكبرى يوم القيامة، "فالأرضُ "تَضْطَرِبُ وَتَهْتَزُّ بِالزَّلازِلِ الَّتِي تَحْصُلُ عِنْدَ فَنَاءِ الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْمَصِيرِ إِلَى الْعَالَمِ الأُخْرَوِيِّ"[٢]، ثم تأتي (الرادفة) التي تلاحقها وتتبعها لتجعل المشهد أكثر رعبًا حين يتملكهم الخوف والذل والانكسار.

وترى الدكتورة عائشة عبد الرحمن أن هذه الصيغ بمعنى (مفعول) لا فاعل: "والأصل فيه أنَّ الأرضَ مرجوفةٌ لا راجفة، وأنَّ التابعة مردَفَة لا رادِفة، وأن حفرةَ القبرِ محفورةٌ لا حافرة، وأنَّ الكرَّةَ خسر أصحابُها، وكذلك الساهرة، وعدولُ القرآن عن هذا الأصل، إلى الإسنادِ المجازى فيها جميعًا، ظاهرةٌ أسلوبيةٌ لافتةٌ، لا يهونُ إغفالُها..... وهنا تلقائية تغني عن ذكرِ المُحدِث، بما أودعَ جلَّ شأنُه الأرضَ من قوةِ التسخير لما يريدُ لها، وهنا أيضًا مباغتة، لا يدري معها الإنسانُ يوم القيامة من أين جاء الرجف، وتركيزٌ للانتباه في أخذه الرجفة... وكذلك الأرض يوم القيامة، ترجفُ بحركةٍ تلقائيةٍ ذاتيةٍ، صائرة إلى ما سُخِّرَت له، فهي مرجوفة راجفة"[٣].

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم١/١٣٩.
(٢) التحرير والتنوير ٣٠/٦٧.
(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم ١/١٣١.

و"الرادفة فيها تابعة، والأصل أن يكون التابعُ مردَفًا لا رادِفًا، والعدولُ عنه كما في (تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) بيان للطواعيةِ والتسخيرِ، والتلقائية التي يقع فيها الحدثُ على المحدَث، فكأنه هو!"(١).

أما قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ فقد دلَّت الألفاظ بصيغتها الصرفية على حالة الهلعِ والفزعِ والانكسارِ التام نتيجة الخوف والندم على تصرفهم، و" الوجفُ والوجيفُ لغة: الاضطراب، وربما كان الأصلُ فيه ضربًا من سيرِ الخيلِ والإبل فيه سرعةٌ مضطربةٌ، وقد التفت الراغبُ إلى هذا الاستعمال اللغوي الأصيل، في تفسير (وَاجِفَةٌ)، وتقوى به دلالة الوجْفِ هنا على الاضطراب الناشيء من عنف خفقان القلوب واضطراب وجيبها في رجَّةِ القيامة.

والخشوع يكون عن ضراعةٍ أو عن رهبةٍ وإجلالٍ، وهو في الصوت والبصر: السكونُ والغضُّ....وكل خشوع في القرآن الكريم، إنما يكون لله سبحانه من مخلوقاته وحين يكون الخشوع من المؤمنين، فهو في الحياة الدنيا، عن صدق إيمان بالله واليوم الآخر"(٢).

والحافرة:" "الأرض فاعلة بمعنى محفورة، وقيل بل هو على النسب أي ذات حفر، والمراد: القبور لأنها حفرت للموتى، فالمعنى أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ أحياء في قبورنا" (٣).

- دلالة اسم المفعول:

استعمل النظم القرآني كلمة (مردودون) بصيغة اسم المفعول بدلا من الفعل (نردُّ)، ليدلَّ على من وقع عليه الحدث، ويؤكد على كونهم في موقف المتلقي غير

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم ١٣٢/١.
(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم ١٣٣/١.
(٣) المحرر الوجيز ٤٣٢/٥.

القادر على التحكم في مصيره، وهو ما يزيد من شعورهم بالعجز والندم، بعد أن أدركوا أنهم راجعون إلى حالهم الأولى قبل الممات، كما تشير إلى الدلالة الزمنية المستقبلية، "والمردود: الشَّيْءُ الْمُرْجَعُ إِلَى صَاحِبِهِ بَعْدَ الانْتِفَاعِ بِهِ مِثْلَ الْعَارِيَةِ ...أَيْ لَمُرْجَعُونَ إِلَى الْحَيَاةِ، أَيْ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ مِنْ قُبُورِنَا"(١).

● دلالة الصفة المشبهة :

استعمل النظم القرآني الصفة مشبهة ﴿ نَّخِرَةً ﴾ معدولا إليها عن صيغة اسم الفاعل (ناخرة) تأكيدا لإنكارهم ومبالغة فيه، فالتعبير بالصفة المشبهة أبلغ من التعبير باسم الفاعل(٢)، قال الألوسي:" وقراءة الأكثرين أبلغ فقد صرحوا بأن (فَعِلا) أبلغ من (فاعِل) وإن كانت حروفه أكثر وقولهم زيادة المبني تدل على زيادةِ المعنى أغلبي أو إذا اتحدَّ النوعُ لا إذا اختلف كأن كان فاعل اسم فاعل وفعل صفة مشبهة "(٣) وعلى هذا فصيغة (نخرة) تدل على الثبوت، وصيغة ناخرة تدل على الحدوث.

رابعا: الدلالة التركيبية:

١. دلالة الجمع:

جاءت الألفاظُ ﴿ قُلُوبٌ – أَبْصَـٰرُهَا ﴾ بصيغةِ الجمعِ لتشيرَ إلى كثرةِ قلوب الكافرين الخائفة الوجلة من هولِ ما ترى، وكثرة الأبصارِ الخاشعة التي يغلبُ عليها الخوفُ والفزعُ، وفي هذه الحالة "لا يتهيأُ لأحدٍ استعمال قلبه وبصره، بل يحدثُ للقلوبِ فِكَرٌ وبدوات لا يمكنه أن يدفعَ عنها الفكر، وكذلك هذا في البصر؛ فيخبر أنَّ ما نزلَ بهم من الخوفِ والهيبةِ يمنع القلوبَ والأبصارَ عن عملِها؛ فلا تنظر إلا إلى الداعي، ولا يحدثُ للقلوب فكرٌ، بل تكون الأفئدةُ هواءً، لا تقر؛ لشدةِ

(١) التحرير والتنوير ٦٩/٣٠.
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي ٢٨٣/٥ .
(٣) تفسير الألوسي ٢٢٩/١٥.

ما حلَّ بها من الخوفِ؛ إذ المرء إذا أحزنَه أمرٌ فهو يعملُ أنواعًا من الحيلِ ويوقع بصرَه على شيء فشيء؛ رجاء أن يستدركَ ما فيه خلاصه وسلامته من ذلك الأمر، ثم ينقطع عنهم التدبيرُ في ذلك اليوم؛ فتكون القلوبُ هواء لا تقر في موضع، ولا تقف على تدبير؛ لشدة ما حل بهم، وتكون الأبصار خاشعة ذليلة إلى ما يدعو الداعي"(١).

٢. دلالة التعريف والتنكير:

- التعريف باسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾:

التعريف بالإشارة يكون لبيان حالة المعرف به في القرب أو البعد أو التوسط، وقد يراد من ذلك التحقيق أو التعظيم أو غير ذلك(٢)، وهو يفوح بدلالات نفسية تتمثل في استنكار مصحوب بمشاعر الندم لاستبعاد نجاتهم، و"الإشارة في تلك تفيد استبعاد حصول البعث، وقد اختار القرآن الكريم لذلك اسم الإشارة للبعيد فيه لام البعد ليعين على تحقيق هذا الاستبعاد من جانب المنكرين وهو أمر لا يتحقق باستخدام اسم الإشارة للقريب"(٣)

- تكرار أداة التعريف في ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ و ﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ لتدل على التفخيمِ والتهويلِ من حدثين محددين ومعروفين في يوم القيامة، وهما الزلزلة أو الرجفة الأولى، تليها الرجفة الثانية والتي هي جزءٌ من مشهدٍ مروعٍ معروفٍ.

- التعريف في ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ باللام التي هي للعهدِ الذهنيّ(٤)، فهي مكانٌ محددٌ معروفٌ في سياقِ أحداثِ يوم القيامة، وجاءت "وصفًا لساحةِ الحشرِ أو

(١) تفسير الماتريدي ٤٠٧/١٠.
(٢) ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة١٩/٢ وما بعدها.
(٣) لغة القرآن في جزء عم، ص ٤١٣.
(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٢/ ٢١.

عرصات جهنم حيث لا نوم هنالك ولا رقاد، وهو مأخوذٌ ببساطة عن قرب من المدلول اللغوي للسهر: عدم النوم ليلا"(١).

- دلالة التنكير:

- التنكير في ﴿قُلُوبٌ – أَبْصَـٰرُهَا﴾ يشير "إلى مشاعرِ الناسِ وحواسهم في ذلك اليوم، حيث أنَّ القلوبَ والأبصارَ كلَّها ستشعرُ بالهولِ والخوفِ في هذا اليومِ الرهيب، "وَتَنْكِيرُ قُلُوبٌ لِلتَّكْثِيرِ، أَيْ قُلُوبٌ كَثِيرَةٌ.. وَهُوَ نَكِرَةٌ لِإِرَادَةِ النَّوْعِيَّةِ وَالْمُرَادُ: قُلُوبُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَجْحَدُونَ الْبَعْثَ فَإِنَّهُمْ إِذَا قَامُوا فَعَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ حَقٌّ تَوَقَّعُوا مَا كَانَ يُحَذِّرُهُمْ مِنْهُ مِنْ عِقَابِ إِنْكَارِ الْبَعْثِ وَالشِّرْكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ"(٢)

- التنكير في ﴿كَرَّةٌ﴾ للإفراد فهي كرَّةٌ واحدةٌ خاسرةٌ، وهي هنا تؤكدُ على استحالةِ العودةِ، وتضعف من شأنِ الفكرةِ التي يسألُ عنها الناسُ في الاستفهام "أئنا لمردودون في الحافرة؟."، " قال الحسن وأبو بكر: هذا منهم تكذيب البعث؛ أي: لا يكونُ أبدًا، وقال غيرُهما: معناه: أن لو كانت كرةً كما يزعمها المسلمون فهي كرة خاسرة على المسلمين؛ لأنَّهم ظنوا أنَّهم إذا كانوا في الدنيا أنعم حالا وأرغد عيشًا، وكان المسلمون في ضيقٍ من العيشِ وشدةٍ من الحال أن يكونوا كذلك في الآخرة"(٣).

٣. دلالة الحروف:

- استعمال ﴿فَإِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَاهُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: استعمل النظم القرآني إذا الفجائية، "للدلالة على سرعةِ حضورهم بهذا المكان عقب البعثِ، وَعَطْفُهَا بِالْفَاءِ

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم١٤١

(٢) التحرير والتنوير ٦٧/٣٠ وما بعدها

(٣) تفسير الماتريدي ٤٠٥/١٠

لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي أَفَادَتْهُ (إِذَا) لأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْمُفَاجَأَةِ وَالتَّقْرِيعِ أَشَدُّ مَا يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ السُّرْعَةِ مَعَ إِيجَازِ اللَّفْظِ"(١)، كل هذا يعطينا الدليلَ الواضحَ على قوةِ الزجرةِ وأثرِها وردة فعلها.

فالجملة هنا تأتي لختامِ الصورةِ التي رسمتها الآياتُ لتصفَ النهايةَ الحاسمةَ، ويكتمل المشهدُ بتصويرِ الحالةِ التي يصبحُ فيها النَّاسُ في مكانٍ محددٍ (الساهرة)، ليكونوا في حالةٍ تامة من الانتباهِ بعد هذه الزجرة، ويحمل التعبيرُ هنا معنى الفجأة والسرعة، مما يشيرُ إلى أنَّ ما كانوا يظنونه مستحيلا قد حدث في لحظةٍ خاطفةٍ، وهو ما يضاعفُ من إحساسِهم بالندمِ والحسرةِ.

- حرف ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ :

الذي يدل على الظرفية، فالتعبير بها يدل على إحاطة الأرض بهم من جوانبها، كما يؤدي معنى التعظيم(٢)، ليخلق أثرًا نفسيًّا قويًّا فهي أرض عظيمة "يَجْعَلُهَا اللَّهُ لِجَمْعِ النَّاسِ لِلْحَشْرِ"(٣)، "سميت بذلك لأنّ السراب يجرى فيها، من قولهم: عين ساهرة جارية الماء.. أو لأنّ سالكها لا ينام خوف الهلكة"(٤).

- "إنما" في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ :

جاء التعبير بإنما التي تفيد القصر وتأتي" لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه"(٥)، "وَالْقَصْرُ حَقِيقِيٌّ مُرَادٌ مِنْهُ تَأْكِيدُ الْخَبَرِ بِتَنْزِيلِ السَّامِعِ مَنْزِلَةَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٧٣.
(٢) ينظر: من أسرار حروف الجر في القرآن ١١٩.
(٣) التحرير والتنوير ٣٠/٧٣.
(٤) تفسير الزمخشري ٤/٦٩٤ وما بعدها.
(٥) الإيضاح في علوم البلاغة ٣/٢٥.

زَجْرَةً وَاحِدَةً غَيْرُ كَافِيَةٍ فِي إِحْيَائِهِمْ"[١]، ففي الإتيان بها :" تذكير بأمر ثابت معلوم يعلمه كل عاقل"[٢] يعنى: لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله ﷻ، فإنها سهلة هينة في قدرته"[٣].

فالآية "تَعْلِيلٌ لِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا تَقَدَّمَ مِنِ اسْتِبْعَادِهِمْ لِبَعْثِ الْعِظَامِ النَّخِرَةِ وَإِحْيَاءِ الأَمْوَاتِ، وَالْمَعْنَى: لا تَسْتَبْعِدُوا ذَلِكَ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَكَانَ ذَلِكَ الإِحْيَاءُ وَالْبَعْثُ"[٤]، وتدلُّ على أنَّ المشهدَ سيكون سريعًا وقاطعًا ولن يستغرق وقتًا طويلا، حيث أكَّدَ هذا القصر على أنَّ البعثَ لن يتطلبَ إلا صيحة واحدة، مما يعكسُ عجزَهم أمامَ قدرة الله، ويعززُ شعورَهم بالندمِ على تكذيبهم السابق ويظهر سهولة قيام الساعة مقابل إنكارهم الشديد لها، وكأنه لا فرصة أخرى أمامهم، مما يزيد من واقع الصدمة عليهم.

-دلالة الاستفهام :

جاء الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾ ، ليعبرَ عن شدَّةِ الاستنكارِ، ويكشفَ عن انفعالٍ نفسيّ يتمثلُ في الاندهاشِ والإنكارِ، "وَكَانَت عَادَتُهُم أَن يُلْقُوا الكَلامَ الَّذِي يُنْكِرُونَ فِيهِ الْبَعْثَ بِأُسْلُوبِ الاسْتِفهَامِ إِظْهَارًا لأَنْفُسِهِمْ فِي مَظْهَرِ المُتَرَدِّدِ السَّائِلِ لِقَصْدِ التَّهَكُّمِ وَالتَّعَجُّبِ مِنَ الأَمْرِ المُسْتَفْهَمِ عَنْهُ وَالْمَقْصُودُ: التَّكْذِيبُ لِزَعْمِهِمْ أَنَّ حُجَّةَ اسْتِحَالَةِ الْبَعْثِ نَاهِضَةٌ،..وَجعل الاسْتِفْهَام التعجيبي دَاخِلا عَلَى جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ مُؤَكَّدَةٍ بِ(إِنَّ) وَبِلامِ الابْتِدَاءِ وَتِلْكَ ثَلاثَةُ مُؤَكِّدَاتٍ مُقَوِّيَةٌ لِلْخَبَرِ لإِفَادَةِ أَنَّهُمْ أَتَوْا بِمَا يُفِيدُ

(١) التحرير والتنوير ٣/٧٢.
(٢) دلائل الإعجاز، ص٣٣٠.
(٣) تفسير الزمخشري ٤/٦٩٤.
(٤) فتح القدير ٥/٤٥٣.

التَّعَجُّبَ مِنَ الْخَبَرِ وَمِنْ شِدَّةِ يَقِينِ الْمُسْلِمِينَ بِهِ، فَهُمْ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ تَصْدِيقِ هَذَا الْخَبَرِ فَضْلا عَنْ تَحْقِيقِهِ وَالإِيقَانِ بِهِ"(١).

كما جاء الاستفهام قوله تعالى:﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾ ، وهو "إِنْكَارِيٌّ مُؤَكِّدٌ لِلاسْتِفْهَامِ الأَوَّلِ لِلدِّلالَةِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ جَدِيرَةٌ بِزِيَادَةِ إِنْكَارِ الإِرْجَاعِ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَهُمَا إِنْكَارَانِ لإِظْهَارِ شِدَّةِ إِحَالَتِهِ"(٢)، وقد جاء مجسدًا لانفعالاتهم النفسية، ليوحي بمزيدٍ من "الدهشةِ والاستغرابِ والخوفِ، وحيرة المأخوذ برجفةِ القيامة بغتة!"(٣) .

(١) التحرير والتنوير ٦٩/٣٠.

(٢) التحرير والتنوير ٧٠/٣٠ وما بعدها.

(٣) التفسير البياني للقران ١٣٧/١.

خاتمة البحث

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث حول انفعالِ الندمِ في القرآنِ الكريم، من خلالِ دراسة هذا الانفعال مصاحبًا للفظِ ﴿كَرَّةً﴾ في سياقاتٍ مختلفةٍ، وربط ذلك بالتحليلِ النفسي اللغوي، لقد كشفت هذه الدراسة عن مدى الدقة في التعبيرِ القرآني، وخلصت إلى أنَّ القرآنَ الكريمَ لم يعالجْ الندمَ كمجرد إحساسٍ داخليٍّ بل صوَّرَه بطرقٍ مختلفةٍ، مستعينًا بالبنيةِ الصوتيَّةِ، والصيغِ الصرفيَّةِ، والأساليبِ التركيبيةِ، التي لعبت دورًا في تجسيدِ ندمِ الكافرين وحسرتهم.

لقد أوضحت الدراسة أن القرآن الكريم ربط لفظ ﴿كَرَّةً﴾ في الآيات محل الدراسة بانفعالِ الندم، وضياع الفرصة، وكان من أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١. ارتبطت دلالة كلمة ﴿كَرَّةً﴾ في الآيات محل الدراسة بدلالات نفسية عميقة تعكس انفعال الندم، وهو أحد أعقد المشاعر الإنسانية، وجاءت الكلمةُ مرتبطةً –غالبًا– بأمنيةِ العودةِ إلى الدنيا بعد فواتِ الأوان، وهو ما يظهرُ جليًا في تكرارِ الأمنيةِ المستحيلةِ (لو أن لي كرة)، مما يعكسُ حالةَ الندمِ الشديد .

٢.كان للأصوات دورٌ واضحٌ في إبرازِ انفعالِ الندم في الآيات عن طريقِ استخدامِ الأصوات المناسبة للمعاني، مثل كلمة ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾ التي تصور بقوةِ أصواتها معنى الصرم والإبانة، وكذلك السين في كلمة ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ التي أشاعت جوًّا من الصفير، دلَّ على ظهور ندمهم وحسرتهم، وكذلك كلمة ﴿يَخۡنَصِمُونَ﴾ التي تعبر بأصواتها عن حالةِ الجدلِ والخصومةِ بين أهل الضلال ومن أضلوهم.

٣. كان للصياغة الصرفية دورٌ في إبراز انفعال الندم في الآيات؛ مثل صيغة (تفعَّل) التي تدل على حدوث الفعل مرة بعد مرة، كما في ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾ لتصور

بصيغتها تأثيرها في ظهور الندم، وكذلك صيغة (فَعْلة) في كلمة ﴿زَجْرَةٌ﴾ والتي أضيفت لها دلالة المرَّة لتساهمَ بصيغتها في رسم صورة المفاجأة، وتزيد من وقع الحسرة والندم عليهم، وكلمة ﴿نَّخِرَةً﴾ التي جاءت على (فَعِلة) بدلا من (ناخرة) على (فاعِلة) لتدلَّ على شدةِ تآكل عظامهم.

٤. كان للوحداتِ التركيبيةِ أروع الأثر في إظهارِ الانفعال، كأدوات النفي والشرط وغيرها، واستعمال الهمزة التي تدل على الاستفهام الإنكاري، وكذلك دلالة الحروف مثل تاء القسم في ﴿تَٱللَّهِ﴾ التي تعدُّ من أقوى أنواعِ التوكيدِ وأعظمها، وكان لها دورٌ في إظهارِ انفعالِ الندم والحسرة، كما جاءت الجملُ الاسمية التي تدلُّ على الثبوتِ، لتؤكدَ ثبوتَهم في النار واستقرارَهم فيها.

هذا وبالله التوفيق

المصادر والمراجع

١. أساليب البيان، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م

٢. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر.

٣. أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م

٤. انفعالات النفس، رينيه ديكارت، ترجمة جورج زيناتي، دار المنتخب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٦. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني الشافعي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الثالثة

٧. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٨. بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء (عم يتساءلون) دراسة صوتية، عزة عدنان أحمد عزت، رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، ٢٠٠٥م.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

١٠. التبيان في أيمان القرآن، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠ هـ -٢٠١٩ م

١١. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ .

١٢. الترابط الدلالي بين الانفعالات النفسية والحركات الجسدية في القرآن الكريم، د. فاطمة أحمد شتيوي، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، المجلد السادس والعشرون، الجزء الخامس،٢٠٢٢م.

١٣. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٤. التفسير البسيط، أبو الحسن الواحدي، النيسابوري، الشافعي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ .

١٥. التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن، دار النشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة: السابعة.

١٦. تفسير القرآن الثري الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي، محمد الهلال.

١٧. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

١٨. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة .

١٩. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٢٠. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي،: دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)،الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

٢١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة: الأولى.

٢٢. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

٢٤. التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة .

٢٦. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

٢٧. الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة –محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى،١٤١٣هـ–١٩٩٢م.

٢٨. حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م.

٢٩. الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ .

٣٠. الدافعية والانفعال، إدوارد ج موراي، ترجمة د.أحمد عبد العزيز سلامة، د. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣١. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.

٣٢. دلالة صيغة تفعل في القران الكريم، أبو غالية، إبراهيم خليل، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مجلد ١٤، العدد الثاني، ٢٠١٧م.

٣٣. الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، محمد جعفر محيسن العارضي، أطروحة دكتوراه، جامعة القادسية، كلية الآداب، ٢٠٠٢م.

٣٤. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٣٥. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: مكتب قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٣٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٧. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

٣٨. الشافية في علم التصريف، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٣٩. شرح المفصل للزمخشري، لأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، منشورات: محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٤٠. شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، تحقيق: د.عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ – ١٩٩٠م) .

٤١. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف ابن هشام، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا.

٤٢. علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة،٢٠٠٠م.

٤٣. علم اللغة بين القديم والحديث، عبد الغفار هلال، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٢م.

٤٤. علم اللغة النفسي، عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، الرياض ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٤٥. علم اللغة النفسي، مناهجه ونظرياته وقضاياه، جلال شمس الدين، الإسكندرية، توزيع مؤسسة الثقافة الاجتماعية ٢٠٠٣م.

٤٦. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، الطبعة: الثانية، القاهرة ١٩٩٧م.

٤٧. علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم، حسن الطبل، مكتبة الإيمان،الطبعة الثانية، ١٤٢٥-٢٠٠٤م.

٤٨. عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، د.عبد العزيز علام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٩. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٥٠. في علم اللغة العام، عبد العزيز علام، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٥١. القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، الطبعة السابعة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٥٢. كتاب التعريفات،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٥٣. كتاب العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .

٥٤. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٥٥. الكتاب، عمرو بن عثمان، أبو بشر، الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

٥٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

٥٧. لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

٥٨. لغة القرآن الكريم في جزء عم، د. محمود أحمد نجلة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٥٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

٦٠. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

٦١. معانى الأبنية في العربية، فاضل السامرائي، دار عمار، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

٦٢. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٦٣. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٦٤. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

٦٥. المعجم العربي للسمات الوجدانية، أحمد محمد عبد الخالق، المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد ٢٢، المجلد الحادي عشر، أكتوبر ٢٠٠١.

٦٦. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

٦٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ .

٦٨. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

٦٩. معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٧٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين، ابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.

٧١. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٧٢. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٧٣. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٧٤. المقتضب، محمد بن يزيد، أبو العباس، المعروف بالمبرد، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب- بيروت.

٧٥. مقدمة في علم أصوات العربية، عبد الفتاح البركاوي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٧٦. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٩-١٩٨٩م.

٧٧. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.

٧٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٧٩. وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

References

1. *Asalib Al-Bayan.* Fadl Hasan Abbas, 2nd ed, 1430 AH – 2009 AC, Dar An-Nafa is – Amman.
2. *Al-Aswat Al-Lughawiyyah* Ibrahim Anis, Nahdat Misr Bookshop.
3. *Usul Ilm An-Nafs.* Ahmad Izzat Rajih, Dar Al-Kitab Al-Arabi – Cairo, 1968 AC.
4. *Anwar At-Tanzil wa Asrar At-Tawil.* Nasir Ad-Din Al-Baydawi, 1st ed, 1418 AH, Dar Ihya At-Turath Al-Arabi – Beirut.
5. *Al-Idah fi Ulum Al-Balagha.* Jalal Ad-Din Al-Qazwini Ash-Shafi, 3rd ed, Dar Al-Jil – Beirut.
6. *Al-Balaghah Al-Arabiyyah.* Abd Ar-Rahman Ibn Hasan Al-Maydani Ad-Dimashqi, 1st ed, 1416 AH – 1996 AC, Dar Al-Qalam – Damascus / Ad-Dar Ash-Shamiyyah – Beirut.
7. *Binyat As-Surah Al-Quraniyyah Al-Wahidah fi Juz Amma Yatasaalun: Dirasah Sawtiyyah.* Izzah Adnan Ahmad Izzat, PhD Dissertation – University of Mosul, 2005 AC.
8. *At-Tahrir wa At-Tanwir (Tahrir Al-Mana As-Sadid wa Tanwir Al-Aql Al-Jadid min Tafsir Al-Kitab Al-Majid).* At-Tahir Ibn Ashur At-Tunisi, Ad-Dar At-Tunisiyyah Lin-Nashr – Tunis, 1984 AC.
9. *At-Tafsir Al-Bayani lil-Quran Al-Karim.* Aishah Abd Ar-Rahman, 7th ed, Dar Al-Maarif – Cairo.
10. *Tafsir Al-Quran Ath-Thariy Al-Jami fi Al-Ijaz Al-Bayani wa Al-Lughawi wa Al-Ilmi.* Muhammad Al-Hilal.
11. *Tafsir Al-Quran Al-Azim.* Abu Al-Fida Ismail, 2nd ed, 1420 AH – 1999 AC, Dar Taybah Lin-Nashr wa At-Tawzie.
12. *At-Tafsir Al-Qurani Lil-Quran.* Abd Al-Karim Yunus Al-Khatib, Dar Al-Fikr Al-Arabi – Cairo.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	ملخص البحث
٢	مقدمة
٣	تمهيد
٤	المبحث الأول: الموضوع الأول
٥	المبحث الثاني: الموضوع الثاني
٦	المبحث الثالث: الموضوع الثالث
٧	المبحث الرابع: الموضوع الرابع
٨	خاتمة البحث
٩	المصادر والمراجع
١٠	فهرس الموضوعات